International Journal of Innovation and Applied Studies
ISSN 2028-9324 Vol. 18 No. 4 Dec. 2016, pp. 1280-1299

http://www.ijias.issr-journals.org/

الاستحكامات الحربية بمنطقة عسير: العمائر المدنية والحصون والقلاع

[Military fortifications in Asir: Civil buildings, forts and castles]

Mahmoud Ahmed Darwish

Professor of Islamic Archaeology,
Faculty of Arts, Minia University, Egypt

ABSTRACT: Asir region famous for the existence of a number of architectural heritages which include the Heritage Houses, palaces and ancient castles that played a big role in immunization and the defense of the region landmarks. The Asir region, – by its identity heritage and respect of the archaeological treasures - an environment of urban heritage which features a comprehensive idea of traditional architecture, in every sense of the good solutions reflected the conditions of the local environment «climatic, geographic, social», as well as the content of design solutions in line with the the needs of the individual and the community in terms of customs and traditions.

Architectural Heritage varies in Asir region between residential architecture and fortifications taken character of war in its entirety, where the lower walls built of large rocks topped by upper walls built of stone or clay, used logs to become bishop, consists of palaces and fortifications warships from several floors up to seven.

One of the most fortified palaces in the Asir region palaces Abha and Khamis Mushayt and Bisha and Namas and Tanumah, and Shada Palace and dad urgent and Wadi Hishbl.

Asir was the only in the Arabian Peninsula beyond the Ottoman political spectrum but which is the most dangerous in the Arabian Peninsula on the places where the Ottoman presence. The Ottomans sent a military campaign was able to triumph over Alasirien after heroic resistance valiant and besieged leadership in Reeda. And for the achievements of the Ottomans from the military success in Asir have set up a number of castles citadel as Shamsan, Daqal, Thara, She'aar and Qushla.

The research aims to highlight the military architectural heritage in Asir region, which consists of fortifications in civil buildings as fortified palaces, castles and forts that were used for housing, defense and surveillance.

The scientific method, which runs the research, to study the fortifications in civilian buildings, forts and castles in the region of Asir, the descriptive approach of these buildings on one side and the analytical method and comparative of defensive architectural elements inertial fortified castles and contemporary forts on the other.

The paper discusses models of castles, forts and military installations architecture established during the Ottoman era, the castles and forts built by locals and local materials as stone and clay, and model form in accordance with the models prevailing fortifications in that region, and these castles built on the foundations of previous castles on the Ottoman era.

KEYWORDS: Asir, Architectural Heritage, Shamsan Castle, Daqal Castle, thara Castle, she'aar Castle, Qushla.

ملخص البحث: تشتهر منطقة عسير بوجود عدد من معالم التراث العمراني التي تشمل البيوت التراثية والقصور والقلاع القديمة التي لعبت دورا كبيرا في التحصين والدفاع عن المنطقة. وتمثل منطقة عسير - بهويتها التراثية وما تحمله من كنوز أثرية - بيئة تزخر بالتراث العمراني الذي يبرز صورة متكاملة عن العمارة التقليدية، بكل ما تحويه من حلول جيدة عكست ظروف البيئة المحلية «مناخية، جغرافية، اجتماعية»، وكذلك ما تحتويه من حلول تصميمية منسجمة مع احتياج الفرد والمجتمع من حيث العادات والتقاليد.

يتنوع التراث العمراني بمنطقة عسير ما بين العمارة السكنية والاستحكامات التي اتخذت طابعا حربيا في مجملها، حيث أقيمت الجدران السفلية من الصخور الكبيرة تعلوها الجدران العليا المقامة بالحجر أو الطين، واستخدمت الجذوع لتقوية الأسقف، وتتكون القصور والاستحكامات الحربية من عدة طوابق تصل إلى سبعة. ومن أهم القصور المحصنة في منطقة عسير قصور أبها وخميس مشيط وبيشة والنماص وتنومة، وقصر شدا وأبي ملحة ووادي هشبل.

كانت عسير هي المنطقة الوحيدة في شبه جزيرة العرب الخارجة عن النطاق السياسي العثماني بل وهي الأخطر في الجزيرة العربية على أماكن التواجد العثماني فيها. وقد أرسل العثمانيون حملة عسكرية استطاعت الانتصار على العسيريين بعد مقاومة بطولية باسلة ومحاصرة قياداتها في ريدة. ولأجل ما حققه العثمانيون من نجاح عسكري في عسير أقاموا عددا من القلاع كقلعة شمسان والدقل وذرة وشعار والقشلة.
يهدف البحث إلى إبراز التراث المعماري الحربي بمنطقة عسير المتمثل في الاستحكامات الحربية بالعمائر المدنية كالقصور المحصنة والقلاع والحصون التي استخدمت للسكن والدفاع والمراقبة.
أما المنهج العلمي الذي يسير عليه البحث لدراسة الاستحكامات الحربية بالعمائر المدنية والحصون والقلاع بمنطقة عسير فيتمثل في المنهج الوصفي لهذه العمائر من جانب والمنهج التحليلي والمقارن للعناصر المعمارية الدفاعية بالقصور المحصنة والقلاع والحصون المعاصرة من جانب آخر.
كما يناقش البحث طرز القلاع والحصون والمنشآت المعمارية العسكرية التي أنشئت إبان العهد العثماني وهي قلاع وحصون بناها السكان المحليون وبمواد محلية من الحجارة والطين، وتشكل طرازها وفق الطرز السائدة للاستحكامات الحربية في تلك المنطقة، وقد أقيمت هذه القلاع على أساسات قلاع سابقة على العهد العثماني.

كلمات دلالية: عسير، التراث العمراني، قلعة شمسان، قلعة الدقل، قلعة ذرة، قلعة شعار، القشلة.

1 مقدمة

منطقة عسير هي إحدى المناطق الإدارية جنوب غرب المملكة العربية السعودية (شكل 1)، ومقر الإمارة فيها مدينة أبها، وتقع على جبال الحجاز، ويوجد بها العديد من المعالم الأثرية التي تعزز من قيمتها كواجهة أثرية تاريخية مهمة، كالقلاع الأثرية والتاريخية مثل قلعة أبو خيال وقلعة شمسان وقلعة الدقل ومتحف ألمع للتراث وقصر شدا الأثري. وتتمتع بموقعها الاستراتيجي الهام لوقوعها عند ملتقى طرق إقليمية تؤدي إلى الطائف ونجران وجيزان والرياض، وتمتاز بتعدد البيئات الطبيعية حيث سلسلة جبال السرواة والهضبة الشرقية وتهامة عسير التي تطل على ساحل البحر الأحمر، كما تنفرد بوجود عدد من معالم التراث العمراني التي تشمل البيوت التراثية والقصور والقلاع القديمة التي لعبت دورا كبيرا في التحصين والدفاع عن المنطقة (لوحة 1-2). (الحفظي، 1974. أبها. 1982م. ال زلفه، 1991. القحطاني، 1992. تاميزيه، 1993. جريس، 1993. الحربي، 1997. نعمي، 1999. جريس، 1999. آل حامد، د. ت. النعمي، د. ت)، [1]، [2]، [3].



شكل 1. موقع منطقة عسير

لعبت عسير دورا هاما في التاريخ العسكري للجزيرة العربية فضلا عن دورها في قيام الدولة السعودية الثانية، حيث كان للمقاومة العسيرية أثر كبير على الأحداث السياسية، فقد ساعد موقعها الاستراتيجي ووعورة المنطقة في نجاح العسيريين في حروبهم ضد العدوان الخارجي سواء من قوات محمد علي أو الجيش العثماني. ففي عام 1249هـ (1834م) تعرضت أبها لأكبر حملة غزو، حيث دخلتها قوات محمد علي باشا، إلا أن العسيريين بفضل ما توافرت لديهم من مقومات جغرافية وطبوغرافية، فضلا عن حصونهم المنيعة، آل زلفة، 2000. البشري، 1820-1843. [4]. كانوا ينسحبون إلى أعالي الجبال ليكونوا في منأى عن القوات المهاجمة التي لم تكن تجرؤ على التقدم. وكان لأسلوب حرب العصابات الذي طبقوه بنجاح - فضلا عن جهل القوات الغازية بالمنطقة - أثر كبير في صد هذه الحملة الكبيرة، مما اضطر القوات المهاجمة إلى الاستسلام، (تاميزيه، 1993)، إلا أن المدينة تعرضت للكثير من الدمار والخراب وإحراق المنازل ونهب ما فيها.

أصبحت عسير واحدة من أكبر الوحدات السياسية في الجزيرة العربية، وأكثرها تأثيرا في مجريات التطورات السياسية طوال هذه المدة, وأصبحت بما تملكه من قوة تشكل مصدر القلق الوحيد للوجود العثماني في كل من الحجاز واليمن، بل أصبحت مهددة لوجوده، وأخذت على عاتقها المضي قدما في تنفيذ سياسة اقتلاع الوجود العثماني كلية من هذه المناطق، وحتى مع دخولها في عدة اتفاقيات مع الدولة العثمانية فإنه قد بلغ بهذه الإمارة الثقة بالنفس حدا جعلها تتجاهل ما تملكه الدولة العثمانية من قدرات تفوق قدرات إمارة عسير في الوقوف متحدية لها. ولتجاوز إمارة عسير حدودها وقدراتها، قررت الدولة العثمانية القضاء عليها باعتبارها العدو الأول والخطير في الجزيرة العربية، ووصلت الإمبراطورية إلى قناعة بأنها إذا تمكنت من القضاء على إمارة عسير فإنها ستتمكن من إحكام سيطرتها الكاملة على كل الجزيرة العربية.

في أواخر عام 1287هـ (1871م) حشدت الدولة العثمانية أكبر حملة عسكرية قوام أفرادها يزيد على تسعة عشر ألف مقاتل، وتمكنت هذه القوة من تحقيق أهدافها، على إثر معارك طاحنة أبلي فيها العسيريون بلاء حسنا مع قلتهم وقاوموا مقاومة شرسة أذهلت خصومهم، وباعلان استسلام الأمير محمد بن عايض، ومقتله فيما بعد حققت الحملة أهدافها بسقوط الإمارة في عام 1288هـ (1871م)، واستمر الحكم العثماني تسعا وأربعين سنة حتى عام 1337هـ (1918م).

تمثل منطقة عسير - بهويتها التراثية وما تحمله من كنوز أثرية - بيئة تزخر بالتراث العمراني الذي يبرز صورة متكاملة عن العمارة التقليدية، بكل ما تحويه من حلول جيدة عكست ظروف البيئة المحلية المناخية والجغرافية والاجتماعية، وكذلك ما تحتويه من حلول تصميمية منسجمة مع احتياج الفرد والمجتمع من حيث العادات والتقاليد، ويوجد في عسير الكثير من المباني القديمة العالية تسمى الواحدة منها حصنا أو قصبة، وهي مبنية بالطين أو الحجارة أو كليهما، وقد صممت مداخلها تصميما محكما يجعل من الصعب اقتحامها.

وكان الهدف من الحصن أو القصبة السكن أو المراقبة والدفاع، وللحصن قاعدة مربعة أو مستطيلة وهو أكبر مساحة وحجما من القصبة ويقيم أصحابه فيه، أما القصبة فغالبا ما تبني على المرتفعات وتكون لها قاعدة دائرية، والقصبة لا تتسع إلا لعدد قليل من الرجال يرابطون فيها فترة قصيرة للمراقبة والدفاع. وكان أهل عسير مثل سكان ما بين النهرين، يعمدون أحيانا إلى إشعال النار وإطلاق الدخان إيذانا بالخطر. وقد يملك الحصن أو القصبة شخص أو أسرة، وقد يكون ملكا لأهل القرية، وفي هذه الحالة تستعمل كل جماعة طابقا من البناء، وللحصون والقصبات نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية.



لوحة 1. حصون بعسير على مناطق صخرية



لوحة2. حصون بعسير على مناطق صخرية

2 دراسة وصفية لآثار منطقة عسير

2.1 القرى والقصور المحصنة

2.1.1 قرية شحب

تقع قرية شحب غربي محافظة رجال ألمع وتضم سبعة عشر برجا تعد من أعلى الحصون في منطقة عسير، وهي ذات بناء جيد ومتقن ومبنية من الطين على أساسات من الحجارة بارتفاع مترين، ومنها ما هو على شكل دائري ومنها ما هو على شكل مربع (لوحة3)، ويبلغ ارتفاع الواحدة منها من (30-40) مترا. ويصل محيط البرج الواحد إلى (15) مترا. ويزيد ارتفاع تلك الحصون على أكثر من ثمانية أدوار. ويعد حصن الشيخ سعيد بن محمد من أبرز حصون القرية، وكان يشكل مركز الإمارة في حينه، وحصن آل ماطر الذي استخدم درعا دفاعيا للقرية ومازال يحتفظ بآثاره، وكذلك حصنا آل الراقدي وآل أبو لملم اللذان استخدما أيضا للدفاع والحماية.



لوحة3. حصن بقرية شحب



لوحة4. الدور الأرضي بالحجر والأول بالطين والرقف

2.1.2 ريدة

تعد بالنسبة إلى العواصم التاريخية في عسير من أمنعها وأشدها تحصينا، حيث تتحول في وقت الأزمات وفي زمن الحروب إلى قلعة حربية حصينة كانت هي الملجأ لأمراء عسير، وقد كان اكتساب ريدة لتلك الحصانة مترتبا على طبيعة أرضها حيث تحيط بها الجبال العالية من كافة جهاتها الأربع وقممها في مجموعها تأتي على شكل قلاع مستطيلة الشكل تحمي تلك البلدة.

وتضم ريدة قلاعا وحصونا تعبر عن نمط عمراني ميز عسير، تقع بشكل متدرج على سفوح الجبال الشمالية منها، وتحت تلك المنازل والقلاع وعلى ذات السفوح تقع حقول زراعية على هيئة مدرجات تمتد حتى تصل إلى وادي ريدة. حيث نجد البيوت التي يزيد ارتفاعها في بعض المناطق إلى ستة أدوار، والمقامة من الحجارة،

وكذا البيوت المبنية أدوارها الأرضية من الحجارة وبقية الأدوار من الطوب اللبن المجلل بالرقف (لوحة4). وهناك بيوت مبنية بكاملها من الطوب اللبن مع تعدد أدوارها، ومن أهم قصور ريدة القصور التي أقامها آل عائض وهم الأسرة الحاكمة في منطقة عسير قبل دخولها في الحكم السعودي (لوحة5-6).





لوحة5. حصون آل عايض في ريدة



لوحة6. حصن آل علوان (متحف رجال ألمع الأثري)

2 .1.3 قرية رجال ألمع

وتعتبر من أهم القرى التراثية، ويتميز التراث العمراني بالمباني الحجرية العالية التي تصل إلى سبعة أدوار، ومن أهم حصون رجال ألمع قصر آل علوان وهو أكبر الحصون ويتألف من أربعة طوابق، وقد تم ترميم القصر وأنشيء به متحف رجال ألمع الأثري بمبادرة عامة من قبل أهالي المحافظة عام 1405هـ (1985م) لحفظ تراث المنطقة, وتولى أبناء القرية جمع (2700) من المقتنيات الأثرية والتراثية التي تبرعوا بها (لوحة6-7).



لوحة7. سقيفة بحصن آل علوان (متحف رجال ألمع الأثري)



لوحة8. حصون بقرية آل الخلف

2 .1.4 قرية آل الخلف

وتعد من الكنوز الأثرية حيث تتمتع بطابع خاص لكبر حجمها وارتفاع المباني القديمة التي تتميز بالدقة في الإبداع في بنائها وهندستها وتشابكها وتعدد أدوارها حيث يوجد (17) منزلا متشابكة مع بعضها البعض ولها سطح واحد، وقد ارتبطت عمليات البناء بخامات البيئة المحلية من الحجر والطين حيث تبنى الأسس من الحجر بعد ذلك يتم الإعداد لبناء المداميك وبين كل مدماك وآخر يوضع (رقف) لحماية البناء من عوامل التعرية وليزيد المبنى رونقا وجمالا، وبها العديد من الشوارع والأزقة والسراديب الطويلة التي تخترق القرية طولا وعرضا، وهذه الأزقة لم تبن عبثا بل توفر القوة والمتانة للمنازل المتشابكة، كما أن هذه الأزقة تأخذ الطابع الحربي فهي توفر الحماية الأمنية لأهالي القرية (لوحة8).

2 .1.5 منزل أبو ملحة (لوحة9)

يعبر عن عمارة عسير بصريا ومعماريا، وبالرغم من أن بناء المنزل تم على مراحل، فإنه يعد منزلا واحدا. ويتميز بأنه أكبر حجما في غرفه وأطول بناء في برجه من باقي منازل عسير.

وتحتفظ واجهاته الخارجية بالتراث العسيري، ويعكس المنزل طريقتين في البناء مستوحاتين من مدينتي أبها وخميس مشيط. فاستخدام حجارة الرقف يعود بطريقة البناء إلى أبها، واستخدام الطين المخلوط بالقش يرجع إلى خميس مشيط. وقد بني الطابق الأرضي من الحجر، أما الطوابق العليا فقد بنيت من مداميك الطين، واستخدمت أخشاب شجر العرعر في تسقيفه وصناعة بواباته، يختلف هذا القصر عن القصور الأخرى في المنطقة بأنه لا يضم متاريس وتحصينات دفاعية لأنه بني خلال العهد السعودي.

2 .1.6 قصر شدا (لوحة10)

فقد بناه عائض بن مرعي عام 1250هـ (1834م) عندما تولى حكم منطقة عسير، على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية (طاش قشلة)، وأدخل عليه ابنه محمد الذي خلفه عام 1274هـ (1858م) بعض التحسينات، ويعد من أشد وأشهر معاقل وقلاع منطقة عسير متانة، ويضم أربعة طوابق، ويستخدم في الوقت الحاضر كمتحف للمقتنيات التراثية والمخطوطات والمأثورات الشعبية والتقليدية التي تشتهر بها منطقة عسير.



لوحة9. منزل أبو ملحة





لوحة10. قصر شدا بأبها

2 .2 القلاع العثمانية

رغم قصر المدة التي قضاها العثمانيون الأتراك في منطقة عسير لحوالي نصف قرن (1289-1337هـ/1872-1918م). فقد اقاموا بعض القلاع والمباني العسكرية التي تنتشر في أرجاء المنطقة وخاصة في الأماكن التي تحيط بمدينة أبها، لإحكام سيطرتهم على المنطقة والتصدي للحروب القبلية التي كانت تشن عليهم بين حين وآخر إبان فترة حكمهم.

وكانت سلسلة التحصينات العثمانية بغرض فرض سيطرتها وحماية خط المواصلات الرئيسي على الطرق المؤدية إلى ميناء القنفذة على البحر الأحمر عبر سهول تهامة، وبالتالي التحكم في منافذ جبال عسير والبلدات الواقعة للشرق، بالإضافة إلى تثبيت الوجود العثماني للمنطقة في وجه ثورات وهجمات القبائل المحلية المتكررة.

ويعد الوالي العثماني محيي الدين باشا (1331-1337هـ/ 1913-1918م) من أكثر الولاة العثمانيين اهتماما بالمنشآت العسكرية، فقد أنشئت القلاع والتحصينات العسكرية في الأماكن المهمة وعلى قمم الجبال وفي الأودية، لتساعد في التصدي للهجمات المفاجئة والثورات والحروب التي كان يشنها أهل عسير، ومن أهمها قلعة شمسان وقلعة الدقل وقلعة ذرة وقلعة شعار والقشلة والتي لا تزال مبانيها وأطلالها ماثلة للعيان حتى الوقت الحاضر.

2 .2.1 قلعة شمسان

تعتبر الأشهر بين القلاع وهي تقع في الشمال من أبها، بناها الوالي العثماني محيي الدين باشا على قمة جبل يحمل الاسم نفسه ويتجاوز ارتفاعه (2300م) فوق سطح البحر، وكانت تتحكم بالطريق القادم من عقبة شعار واستمر استعمالها حتى مغادرة العثمانيين منطقة عسير، وهي أكبر القلاع مساحة ولها باب غربي كبير ومحاطة بسور وفيها أبراج للحراسة وتعرضت للخراب والتهدم، وقامت القوات السعودية بترميمها وإضافة بعض المباني إليها عام (1352هـ/1933م)، واستعملتها فترة قصيرة عند نشوب القلاقل مع اليمن بسبب النزاع على منطقة نجران، ثم هجرتها فتعرضت للخراب والدمار مع مرور الزمن (لوحة11:14).



لوحة11. قلعة شمسان



لوحة12. قلعة شمسان



لوحة13. قلعة شمسان





لوحة14. باب مصفح وبالمسامير بقلعة شمسان

2.2.2 قلعة الدقل

تقع في موقع مهم من الناحية العسكرية في شمال غرب أبها فوق جبل ارتفاعه نحو (2343م) فوق سطح البحر، وقد مكنها هذا الموقع من السيطرة على المنافذ والطرق في الشعاب والأودية التي تخترق السلسلة الجبلية في شمال القلعة وغربها، وقد أنشأ هذه القلعة الوالي العثماني محيي الدين باشا خلال الفترة (1332-1334هـ/1914-1916م) ووفر فيها وسائل الدفاع من أسلحة ومعدات وذخائر ومؤن تكفي فترة طويلة في حالة محاصرتها.

وظلت هذه القلعة كحصن عسكري طوال فترة حكم العثمانيين للمنطقة، واستعملتها القوات السعودية بعد جلائهم ثم هجرت وتعرضت للخراب.

2.2.3 قلعة ذرة

شيدها الوالي العثماني محي الدين باشا في موقع حصين يصعب الوصول إليه على قمة جبل ذرة التي يتجاوز ارتفاعها (2400م) فوق سطح البحر، وكانت تسيطر على الطرق القادمة إلى مدينة أبها من الجنوب الغربي والجنوب الشرقي.

2.2.4 قلعة شعار

تقع شمال مدينة أبها على مسافة (٢٥) كيلومترا، وشيدت على مساحة من الأرض شبه مستوية ترتفع عن مستوى سطح البحر حوالي (1400-2800م) وتتصل من الجهة الغربية بوادي تيه في تهامة مباشرة,

أما من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية فتحيط بالقلعة مساحة شاسعة من الأرض تخترقها بعض الأودية المنحدرة من التلال الجبلية المحيطة بهذه المساحة من الجهتين الجنوبية والجنوبية الشرقية وادي تيه, حيث يمكن عن طريق القلعة السيطرة على العقبة, وفي الوقت نفسه حماية طريق إمداداتهم ومعداتهم ومؤنهم إلى قاعدتهم بأبها.

وقد تم تشييد القلعة (لوحة15:18) على ثلاث مراحل رئيسية الأولى تعود لسنة 1289هـ (1872م) بعد ضم القوات العثمانية لمنطقة عسير, وظلت قائمة حتى عام 1294هـ (1876م) ثم تعرضت للتخريب نتيجة ثورات أهالي عسير، ثم تم تجديدها من قبل القائد العسكري سليمان باشا عام 1326هـ (1908م), وأمر القائد التركي محيي الدين باشا بتجديدها وتشييد ساحة للتدريب في الجهة الشرقية. وبعد جلاء العثمانيين استعملتها القوات السعودية فترة قصيرة، ثم هجرتها فتعرضت للخراب والدمار.



لوحة15. قلعة شعار



لوحة16. قلعة شعار



لوحة17. قلعة شعار

لوحة18. قلعة شعار

استخدمت الصخور المحلية في بناء القلعة التي صممت على شكل مستطيل (62,0×25,0م) وتشتمل على عدة حجرات تم تخصيص جزء منها كمطابخ لإطعام الجنود المرابطين. ويحيط بالقلعة عدة تلال مرتفعة بني على قمم بعضها ثمانية أبراج للمراقبة, ستة في الشرق وواحد في الغرب وآخر في الجنوب.

وقد تم تخصيص ساحة كبيرة للمراقبة ولتأمين موقع للمدفعية المرابطة فيها والتي كان يصل مداها لمسافات شاسعة في سهول تهامة من موقعها المرتفع ملاصقا للقلعة، وتقع ساحة أخرى في الجهة الجنوبية الشرقية محاطة بسور حجري يلتف بشكل مربع مع مدخل شمالي، وأبعاد هذه الساحة في الشرق (21,30م) وفي الغرب (20,15م) وفي الجنوب (26,85م) وفي الشمال (26,20م)، ويحيط بها جدار من الحجر سمكه (0,50م)، ويتخلل أسوارها سواتر حجرية من حجر الجرانيت، شأنها شأن بقية مباني القلعة، ويعتقد استخدام هذه الساحة من أجل القيام بالتدريبات العسكرية للمرابطين في القلعة.

وللقلعة مدخل إلى الجنوب الشرقي عبارة عن فتحة اتساعها (2,00م) بالأحجار غير المربوطة بالحائط الأصلي, أما الجانب الآخر للمدخل فيتمثل في جدار الغرفة، ويؤدي المدخل إلى ممر بنفس سعة المدخل ينحرف بعدها جهة الغرب قليلا ويكتنفه شرقا غرفة أخرى بها مزغل واحد, بالقسم الشمالي منها حنية عميقة نصف دائرية, ربما كانت تستعمل برجا, يليها ثلاث حجرات متجاورة ببعضها مزاغل, يتصل بها شكل عبارة عن برج دائري مطمور الجزء السفلي منه يصعد إليه بواسطة منحدر حجري يلاصقه, وبهذا البرج فتحات للمدافع في اتجاهات مختلفة, يلاصقه برج آخر على شكل نصف دائرة ويحتوي على فتحة للرماية إلى الشمال الغربي من القلعة.

ويمكن الوصول إلى هذا البرج بواسطة منحدر حجري, يجاور هذا البرج حجرتان واحدة فوق الأخرى تستعمل العلوية منظرة ومكانا للمدفعية, حيث تشتمل على فتحة سعتها (1,20م) تتجه نحو الشمال، أما الغرفة السفلية فتشتمل أيضا على فتحة للمدفعية, يلاصق الحجرتين برج مربع الشكل تقريبا به أربع فتحات اتساع الواحدة منها (0,60م) وهي للمراقبة في الجهة الشمالية والغربية وكذلك لإطلاق المدفعية، وبالقرب من هذا البرج دورة مياه ذات مدخلين تلاصق سور القلعة الغربي الذي يبلغ طوله (20,45م) وسمكه (0,80م) وارتفاعه الحالي (1,00م) يتخلله عشرون فتحة للمدفعية، وخلف السور مباشرة من الداخل بناية تمتد بامتداد السور تمثل ممرا أو قاعدة توضع عليها المدافع عرضه (0,80م).

يتوسط القلعة فناء مستطيل يمتاز بتدرج أرضيته ليسمح لمياه الأمطار بسرعة جريانها على خارج القلعة، ثم مجموعة أخرى من الغرف لإدارة القلعة وللجنود، تشتمل على فتحات المزاغل والمدفعية، وكذلك اسطبل للخيل، مقسم إلى ثلاث أقسام تشتمل على فتحات لرمي النيران، يجاوره مبنى يشتمل على فرنين متجاورين لإمداد الجنود بالخبز.

وبخصوص المصدر المائي للقلعة، فإنها كانت تزود بمصدرين، الأول عبارة عن بئر مجاورة للقلعة من الجهة الشمالية الغربية، المصدر الثاني على مقربة من القلعة وعلى بعد (150م) يوجد خزان للمياه مستطيل الشكل تحيط بجدرانه من الخارج سنادات داعمة، وطلي هذا الخزان من الداخل والخارج بالملاط وهو بمثابة الخزان الاحتياطي المائي للقلعة.

والقلعة بما تشتمل عليه من مفردات معمارية تضم الساحة والصحن الأوسط المكشوف ومجموعة الحجرات والأبراج، وما تشتمل عليه من فتحات الرمي بالنيران سواء أكانت مدفعية أم بنادق في مستويين للدفاع، جميعها تمثل الخصائص المعروفة في العمارة العثمانية.

2.2.5 الثكنة العسكرية العثمانية (القشلة)

عرفت باسم طاش قشلة، وبنيت من الحجارة في القسم الجنوبي من رأس أملح بمدينة أبها إبان عهد الوالي العثماني فيضي باشا خلال الفترة (1294-1297هـ/1877-1880م)، وقد بني على أطلالها قصر شدا الجديد الذي ذكر سابقا.

3 التراث العمراني (دراسة تحليلية)

3.1 المنازل

يتنوع التخطيط الهندسي لمسطحات منازل عسير وعناصرها الزخرفية الداخلية والخارجية باختلاف الموقع الجغرافي والمستوى الاقتصادي والاجتماعي لساكنيها. فقد تميزت بأنها تمثل كتلا عمرانية تلتصق ببعضها وتخترقها ممرات ضيقة تتصل ببعضها البعض، ويعكس شكلها ونمط تخطيطها العمراني أحد الأساليب التي لجأ إليها سكان المنطقة للدفاع عن قراهم وأنفسهم بسبب الحروب القبلية وما رافقها من أعمال السلب والنهب التي انتشرت في تلك الفترة. وكان لبعض القرى أبواب تفتح صباحا وتغلق عند المساء.

يتميز التخطيط العمراني للقرى بالتجمعات الموزعة والصغيرة التي تندمج في كتل عمرانية متناثرة، وتصل بين البيوت طرق بسيطة وممرات وأزقة متعرجة تتسم بالتعقيد والتعرج والصعوبة ونادرا ما توجد ساحات عامة، (الزهراني، 2007)، وأحيانا توجد تجمعات لبيوت في مزارع قريبة من مراكز القرى. وترتبط القرى مع الوسط الطبيعي المحيط ارتباطا وثيقا مما ساعد على الاستفادة من أحجار الجبال في البناء والقدرة على مقاومة المخاطر الخارجية والدفاع.

تميزت منطقة عسير بالمراكز العمرانية التي تشمل المدن والقلاع والحصون، وتنتشر بالسهل الساحلي والمنطقة الجبلية ومنطقة الهضبة، وتنفرد كل منطقة من المناطق الثلاث بنمط معماري وأسلوب بناء حسب الوضع الاجتماعي والبيئة المحلية والعوامل الاقتصادية والتضاريس والظروف المناخية والعوامل الطبيعية واختلاف تاثيرها وطبيعة مواد البناء المتوافرة، ومن ثم انتشرت ثلاثة أنماط لبناء المنازل هي (الزهراني، 2007):

الجزء الأوسط: ويشمل المنطقة الجبلية الشاهقة الارتفاع والقسم الأكبر من البيوت مقام بالحجر، وانتشر أيضا البناء بالحجر والطين، أو بالطين فقط بحيث تبنى أساسات المنزل والتي ترتفع عن سطح الأرض بالحجر ويبنى فوقها بالطين، ويمكن تفسير استخدام الحجر والطين معا إلى ندرة الحجر الصالح للبناء في بعض المناطق الجبلية أو بالقرب منها.

الجزء الغربي: ويشمل سهول تهامة الساحلية وأقدام المنحدرات الغربية للمنطقة الجبلية، والتي يطلق عليها سكان المنطقة اسم الأصدار وتقع بعيدا عن الساحل نسبيا، فقد استخدم فيه الحجر لبناء بعض المباني في القرى الكبيرة مثل محائل وبارق ورجال ألمع.

الجزء الشرقي: ويضم منطقة الهضبة وأغلب بيوته مبنية من الطين، وبعضها مبني من الأخشاب وجريد النخيل، وقليل منها مبني بالحجارة ولكن بمستوى يقل عن بيوت المنطقة الجبلية. أما في المناطق الأخرى فتسود أنماط مختلفة من المباني الحجرية والطينية وتتشابه بيوت جميع هذه الأجزاء أو المحاور بمرافقها التي تضم الأسوار وبعض الملاحق من غرف صغيرة تستخدم كحظائر للماشية، أو مستودعات للتخزين.

تختلف المنازل بأحجامها وعدد طوابقها بين مكان وآخر، ويتوقف هذا الاختلاف على الحالة المادية لأصحاب المنازل، فالمقتدرون ماديا مثل شيوخ القبائل والتجار يمتلكون بيوتا متعددة الطوابق، أما بيوت عامة الناس والفقراء فتتألف من طابق واحد يضم غرفة أو غرفتين على الأرجح. وبصورة عامة يلاحظ تدني مستوى المباني وقلة عدد طوابقها في القرى الصغيرة أو القليلة السكان أو الفقيرة وفي المناطق الريفية والبدوية، ويترافق ذلك مع تدني جودة مواد البناء المستخدمة عما هي عليه في القرى الكبيرة والمدن.

كما يتشابه جميع سكان منطقة عسير تقريبا في اختيار مواقع منازلهم، وهذا لا يعني وجود مخططات منظمة متبعة، وإنما هناك نمط عام متبع يأتي من أن غالبية سكان المنطقة يمتلكون أراضي ذات حدود معروفة، ويتم اختيار موقع السكن أو البناء المطلوب تشييده في داخل الأرض بصورة عشوائية، مع مراعاة القرب من مورد المياه.

ويتمثل تأثير العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية في نمط العمران بالقرى القديمة في تمكن أبناء المنطقة الجنوبية من فك رموز بيئية وساعدهم ذلك على التكيف مع طبيعة جغرافية تختلف كليا عن باقي مناطق المملكة، ليخلقوا لأنفسهم طابعا يعرف عنهم، ويمثل اعتمادهم على مصادر بيئية طبيعية متعددة ليعيشوا ويتعايشوا وفق نمط تاريخي تراثي.

ويتميز الإرث الثقافي التاريخي لنمط العمران قديما في المنطقة الجنوبية وخاصة مناطق السراة في استخدام حجر صف بطريقة ذكية، وهذا الحجر يسمى (الحيود) ويعتبر من أساس البناء قديما، ويتم رصفه فوق بعضه بعضا بعد أن يوضع على كل طبقة طين، كما أن استخدامات الطين لا تقتصر على البناء فقط، فهو يستخدم لتغطية جدران المنزل من الداخل وأرضيات الغرف والممرات والدرج.

واستخدم الحجر في بناء الجدران الرئيسية للمبنى والفواصل بين الغرف، كما أن أكثر مباني الطين لها أسس استخدمت فيها الحجارة بارتفاع متر أو مترين دعما لقاعدة البناء.

يتنوع التراث العمراني في المنطقة الجنوبية وفقا للعادات والتقاليد الاجتماعية وكذلك التضاريس والظروف المناخية ونوعية مواد البناء، حيث تنتشر المساكن النباتية (العشة) في سهول تهامة. وتنتشر المباني الحجرية متعددة الأدوار على المرتفعات الجبلية وهي أما متناثرة وفقا للمصاطب الزراعية أو متلاصقة كما في كثير من القرى التراثية.

أما في شرق المنطقة فيبرز استخدام مادة الطين والرقف في البناء وتتعدد ارتفاعات العمائر وكذلك في تغطية الأسقف بأغصان الشجر وجذوعه. وتستخدم قطع من الحجر الصغير لسد الفراغات بين الأحجار إن لم يستخدم الطين، وذلك بعد أن تستقر الأحجار الكبيرة في مكانها.

ومن أنماط البناء المميزة في عسير النمط المعروف بطراز أبها، وفي هذا النمط يبنى المسكن من الحجارة والطين سويا على أن يكون الدور الأرضي من الحجر ثم يعلو باقي المبنى بحوائط من الطين والحجر، ويستعمل الحجر في بناء الجدران الرئيسية للمبنى والفواصل بين الغرف سواء كانت في الطابق الأرضي أو في الطوابق العلوية، كما تستعمل الأحجار المسطحة في تغطية بعض الأسقف والأرضيات، وتتميز بوجود مداميك حجرية متعددة بارزة على مسافات منتظمة في صورة أحزمة كاملة تمتد حول المبنى، ووظيفة هذه المداميك الأساسية حماية المبنى من الخارج من التقلبات الجوية التي تكون في صورة أمطار كثيفة تشهدها المنطقة بحكم موقعها في قمم سلسلة الجبال.

كما يستخدم الطين أيضا في طلاء الحيطان الحجرية من الخارج وفي تغطية الجدران من الداخل وأرضيات الغرف والممرات. ويتم تزيين أبواب المباني ونوافذها من الخارج بأحجار المرو المعروفة بلونها الأبيض ولمعانها الذي يميزها عن البناء، وبخاصة إذا كان لون البناء قاتما (لوحة19-20)، أما الخشب فيستعمل في بناء الجدران والسقوف ودعائمها، كما يصلح لصنع الأبواب.



لوحة19. احد الجدران وقد احتوى على الحيود والطين



لوحة20. خارف بحجر المرو

وقد كان للبيئة الدور الأساسي في تشكيل هذا البناء, فنظرا للطبيعية المناخية في عسير نجد أن البيوت تم تصميمها لتلبية الشروط الموضوعية للتكيف مع البيئة فكون الحصون مثلا بعضها من حجر كما في كثير من الأجزاء العسيرية أو بعضها من حجر وطين كما في أبها والسراة وغيرها، فذلك يعود مثلا إلى مدى توافر وتواجد نمط من الأحجار الجرانيتية التي تصلح للبناء أو وجود مواد طينية ملائمة، لكن ما يهمنا ثقافيا هنا هو أن الإنسان كان متصلا ببيئته وكان يعد قارئا ذكيا لشروطها وطبيعتها فاستغل المواد المتوافرة محليا، [5].

وقبل أن نقرأ كيفية تأثير وأثر الثقافة على التصميم الداخلي في البيوت العسيرية نشير إلى نقطة أخرى بخصوص البناء في عسير، وهي أنه وبسبب ظروف المكان والبيئة ونمطية تشكل الثقافة فإن الاتصال الإنساني والاجتماعي كان أحد أبرز مظاهر القرية العسيرية، فحاجة المجتمع في عسير لقوى الإنتاج والتعاون حتمت أن يتصل المجتمع عموديا وأفقيا.

فعلى سبيل المثال عند وصف القرية العسيرية في المصادر التي تحدثت عن البناء والعمران في عسير فإنها تصف القرية بأنها (Self-Contained) أي أنها محتوية لبعضها البعض مما يساعد على سهولة الاتصال والتواصل والسبب في ذلك يعود إلى أن المجتمع كان مجتمع إنتاج وكل ما يساعد على تنمية عملية الإنتاج ينبغي أن يسهل ومن ضمن ذلك سهولة التواصل والاتصال، [6].

ونظرا للمعطيات الإيكو - أنثربيولوجية (أي تأثير البيئة على الثقافة) سنجد أن الاتصال بين القرى حيث لا تكاد تبتعد القرية عن الأخرى مسافة كبيرة في الغالب لا تكاد تتعدى (500 متر) إلى (800 متر), هذا الأمر شجع على وجود حيز أمني واجتماعي متفاعل ويطمئن للآخر وينفتح عليه بسبب وجود اتصال وتواصل عكس الواحات الصحراوية مثلا والتي تكون معزولة ومتباعدة مما يجعلها عرضة للهجمات الرعوية مما يؤدي بدوره إلى وجود نمط ثقافي حذر ومنكفئ على الذات.

هذا الاتصال العمراني ثم تتويجه بثقافة السوق وهي ثقافة مهمة جدا في عسير بل ولعبت أحد أهم الأدوار في ثقافة عسير عبر العصور التاريخية كلها، فالسوق كان المظهر النهائي للعمران في عسير لا من زاوية بنائه بل بمفهوم العمران كمفردة ثقافية، حيث يكون للسوق أوقات أسبوعية محددة لأسباب منها: أنه لا يمكن إقامته على مدى أيام الأسبوع في مدينة واحدة فتتعطل آلية الإنتاج ومن زاوية أخرى بتنقله الزماني تكون الفرصة متاحة للأختلاط والتشارك مع مجموعات أكبر وأكثر. كما كان الغرض من نشأة الأسواق في أماكن معينة تنظيميا وأمنيا،[9].

ومن ناحية أخرى فإنه وبسبب الشروط المناخية وتحسن ظروف الحياة النسبي مقارنة بالصحراء مثلا فإن عدد السكان يكون أعلى، فالعرب المستقرون (أو الحاضرة) يتكاثرون بنسب أعلى مقارنة بالعرب البدو وغالبا ما يزداد عدد هؤلاء إلى الضعف أو الثلاثة أضعاف في جيلين أو ثلاثة والسبب الواضح في هذه الزيادة هو تحسن جودة العيش وتوافر الطعام في الحياة المستقرة مما يؤدي إلى توافر شروط أفضل عند الحمل بالنسبة للنساء والرضاعة وهذه الحقيقة ينبغي أن نتفهمها عند قولنا بذلك العدد الكبير لسكان عسير والذي لا يقل عن المليون والنصف وربما أكثر،[5].

أما عن تعدد أدوار المنزل وعدم وجود غرف متلاصقة وهي أسهل بناء وتصميما وربما تبدو أكثر عملية, فيرجع إلى الحيز البيئي, فالمكان جبلي ولا تتوافر مساحات شاسعة فهي إما تستغل زراعيا وخصوصا على ضفاف الأودية أو سفوح الجبال وينبغي على ذلك أن يكون المنزل والعمران قريبا من مكان العمل لتسهيل الوصول إليه ونقل المحاصيل منه وأيضا ينبغي استغلال كل مساحة ممكنة لأجل الزراعة فقيمة الأرض هنا مهمة جدا إذ تعتبر المصدر الأكبر للدخل هذا عدا الحاجات للمراقبة العامة.

ومن هنا نستطيع أن نفهم أن نمط البناء العمودي (أي الأدوار) يحقق تكيفا ملائما مع الطبيعة الجبلية فهو يصلح للاستخدام في المراقبة والتواصل مع القرى الأخرى، وأيضا يستخدم مساحة أقل من الأرض منطقة زراعية جبلية، ومن ناحية أخرى يسكن فيه عدد كبير من أفراد الأسرة.

ويفسر التنوع الجغرافي والبيئي والمناخي التنوع في الطرز المعمارية في عسير، وبعد أن أصبح على المعماري والمصمم والبناء والمزخرف أن ينشيء حوارا مع البيئة حوله، ظهرت العشة الطينية ذات السقف الخشبي، وبني بيت الحصى المبني من الحجر وله طابق واحد، وأقيم البيت الشعبي الحجري الذي قد يبلغ ارتفاعه الطابقين، وشيد القصر ذو البرج الحجري الذي يتألف من عدة طوابق، ومن صوره القصبة المبنية من الحجر الجاف والمزخرفة بحجر المرو، كما بني الحصن وهو برج طيني تتألف جدرانه من طبقات طينية (مداميك)، وأخيرا كان القصر الذي سمي بطراز أبها، وهو عبارة عن جدران من الحجر لا يربط بينها شيء تعلوها جدران من الطين، مغروس بين طبقاتها ألواح من الحجر (رقف) لحماية الطين من مياه الأمطار وهي أيضا تستخدم لتظليل الفتحات.

وهناك اختلاف في أساليب البناء اعتمادا على المواد الخام المتوافرة في المحيط الجغرافي، حيث تتنوع هذه الأساليب بتنوع المواد الخام بالبناء الموجودة في البيئة المحيطة وبشكل عام اعتماد أسلوب استخدام الطين والحجر كمواد بناء رئيسية في بناء مباني منطقة عسير إذ كانت غالبية منازلها وغالبية مبانيها من الحجر، وفي بعض الحالات بنيت الأجزاء السفلية للمبنى من الحجر وبنيت الأجزاء العلوية باستخدام الطين، مع ذلك تتألف جميع منازل هذه القرى من طابق واحد أو طابقين باستثناء منازل رؤساء القبائل والشيوخ والأمراء، التي كانت أكثر اتساعا ويرتفع بعضها إلى ما بين أربعة وسبعة طوابق. وتخصص الأدوار العليا للنساء والخدمات المنزلية وغرف أهل المنزل، وعادة ما تكون مزودة بفناء داخلي.

وهكذا نرى أن طريقة بناء البيوت في قرى منطقة عسير تختلف حسب طبيعة مادة البناء المستخدمة في بنائها ومن طرق الباء بمنطقة عسير طريقة بناء المنازل بالقش والأغصان والطين بأشكال دائرية أو مخروطية أو مربعة أو مستطيلة، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي: (وهيبة، 1975، شاكر، 1981. وزارة الشؤون البلدية والقروية، 1984. أحمد، 1986. الرفاعي، 1987. سعود، 1989. القحطاني، 2000. جريس، 2002)، [8].

طريقة بناء البيوت الطينية: وتبنى بأسلوبين، الأول أن يبنى البيت بكامله من الطين، وقد تقوى الجدران بوضع حجارة مبسوطة بين المداميك (رقف)، ثم يشرع في التسقيف وصنع الأبواب والنوافذ، وتبنى المباني الطينية عادة بعدة أشكال فمنها مبان مربعة أوهرمية أو اسطوانية أو مستطيلة الشكل، وفي البناء بالطين الخالص كان لا بد أن تكون الأرض صلبة ليستغنى عن الأساس الحجري، فيبنى بالطين مباشرة وترص الصفائح الصخرية الرقيقة خلال بناء الجدران لتحمي الطين من زخات المطر والبرد الكثيرة.

أما الأسلوب الثاني في بناء البيوت الطينية فهو أن يبنى أساس البيت بالحجر بارتفاع متر أو مترين ثم يستكمل البناء بالطين ويسمى (الخلب) يخلط بالتبن ويوضع على شكل طبقات (مداميك)، وكلما جفت طبقة يوضع عليها أخرى حتى ينتهي بناء الجدران، ولمتانة البناء العسيري فإنه يصل إلى خمسة طوابق. وتلاحظ البيوت الطينية في أماكن متفرقة من عسير مثل مدينة أبها وما حولها وبعض الأماكن في سهل تهامة.

ب. طريقة بناء البيوت الحجرية: وتتشابه في جميع أنحاء منطقة عسير، حيث تبدأ بتسوية موضع البيت وذلك بحفر نحو نصف متر لجدران الأساس، وتوضع في الحفرة (الربض) صخور كبيرة بشكل منظم، ثم تشيد فوقها جدران البيت، ويختلف سمك الجدران حسب حجم البيت وعدد طوابقه، ويرفع عادة الجدار في الطابق الواحد ثلاثة أمتار أوأقل، ويشيد الجدار بوجهين، وجه داخلي (يسمى القفا أو الخلف) ووجه خارجي يراعى به جمال المنظر، ولذلك تستخدم في بنائه حجارة متساوية الأحجام ومشذبة، وقد يصل سمك الحائط إلى (0,70م) في الدور الأرضي، وتوضع بين الحجارة الكبيرة حجارة رقيقة صغيرة تسمى صلب أو كحل لسد الفجوات وتجميل الجدران، ويستخدم الطين مع الحجارة في الوجه الخلفي كي يتماسك الجدار، وجميع البيوت تحاط بأسوار حجرية أو طينية أو من أغصان الأشجار والأخشاب.

أما الأسقف في البناء العسيري فإنها لا تختلف عن بعضها كثيرا، إذ استغلت الموارد البيئية المحيطة، حيث تسقف المباني بجذوع (بطنات) أشجار العرعر أو الطلح أو الزيتون البري أو السمر بعد إعدادها بشكل مناسب، وكذلك تستعمل معها السواري أو الجيز، وهي جذوع كبيرة كدعائم لتقوية السقوف وخاصة عندما تكون أطوال البطن أقصر من المطلوب، وتستخدم معها أغصان مستقيمة (مركاب أو جريد) تفرش فوقها وتغطى بسعف النخيل وحزم من شجر (الطباق والعرفج) والطين المخلوط بالصمغ المأخوذ من بعض أنواع الأشجار ليتكون سقف قوي يشكل عازلا مائيا يمنع من دخول مياه الأمطار، ثم يغطى سطحها بالطين بسمك (15-30سم) ويفرش فوق التراب.

أما الأبواب والنوافذ فتصنع من جذوع الطلح والعرعر حيث تفصل إلى شرائح تصنع منها الأبواب والنوافذ ثم تنحت وتزخرف. وكانت الأبواب والنوافذ تصمم بأحجام صغيرة، بحيث لا يمكن للشخص المتوسط الحجم الدخول من النافذة، ويضطر للانحناء عند الدخول من الباب، وتكون نوافذ وأبواب الطوابق السفلى عادة أصغر مما هي عليه في الطوابق العليا، والسبب في ذلك توفير قدر من الأمان ومنع السطو على البيت فضلا عن تدفئة البيت.

3 .2 الحصون والقصبات والقلاع

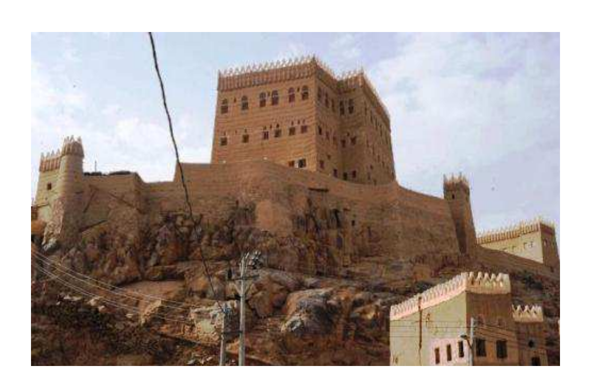
تشتهر عسير بكثرة حصونها وقلاعها وقصورها التي لا تكاد قرية تخلو منها وخاصة في المنطقة الجبلية، وتختلف الحصون عن القصور بأنها أبنية مستقلة بذاتها ويتألف كل منها من عدة طوابق، وتستخدم للسكن والدفاع والمراقبة، أو لتخزين الحبوب وأعلاف الحيوانات أو لحراسة المزارع، ولذلك صممت المداخل بإحكام بحيث يصعب اقتحامها.

وقد بنيت الحصون باستخدام الحجارة أو الطين أو كليهما معا بقواعد مربعة أو مستديرة، أما القصور فكانت تستخدم للسكن ويمتلكها شيوخ القبائل والأمراء والأثرياء والتجار، أما القصبات فقد بنيت على المرتفعات بقواعد دائرية ولا يتسع كل منها إلا لعدد محدود من الرجال يرابطون فيها فترات قصيرة للمراقبة والدفاع.

وقد حرص أصحاب القصبات والحصون على العناية ببنائها وعلى قوتها ومنعتها إلى جانب جمال مناظرها، ولذلك زينت أبوابها ونوافذها وواجهاتها بأحجار المرو، وقد تعود ملكية القصبة أو الحصن لفرد واحد أو لأسرة أو لأهل القرية، وغالبا يشترك في بنائها أهل القرية أو العشيرة.

وتختلف القصبات والحصون في عدد طوابقها وفي اتساعها، وقد يصل ارتفاعها إلى سبعة طوابق، وللحصون والقصبات نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية، ومن الحصون المشهورة في المنطقة حصن رجال ألمع، وحصن تنومة، وهناك حصون عديدة منها حصن قرية آل دحمان بتنومة وحصن قرية صبح شمال أبها وحصن قرية آل الشاعر شمال أبها وحصن قرية الحرجي قرب مدينة أبها.

توجد القصور التي تنتشر في أنحاء عسير في معظم الأحيان في المدن الكبيرة مثل أبها وخميس مشيط وبيشة والنماص وتنومة، وفي بعض المراكز الريفية المجاورة لها، وبنيت بالحجارة أو الطين أو كليهما معا، وتختلف أحجام القصور واتساعها وجودة بنائها بين مكان وآخر. ومن أشهر الحصون الحصن الذي بناه الأمير عائض بن مرعي على سفوح جبال السروات بقرية ريدة غربي مدينة أبها عام 1251هـ (1835م) واستعملت الحجارة في تشييده.



لوحة21. الأسوار حول الحصون



لوحة22. أعمدة بارزة

3.3 مبان ومنشآت أخرى

تنتشر في منطقة عسير كثير من المباني والمنشآت الزراعية القديمة التي تشتهر بها المنطقة، والتي استخدمت ومازالت تستخدم في الوقت الحاضر في عدة نواح، وتشمل:

المدرجات أو المصاطب الزراعية: وتنتشر في أنحاء المنطقة جميعا، وخاصة في المنطقة الجبلية، ويتم إنشاء هذه المصاطب ببناء أسوار من الحجارة بطريقة متقنة بارتفاع (2-5م)، وبعضها يتجاوز (8-10م)، تتجمع خلفها مع مرور الزمن التربة الصالحة للزراعة.

الأسوار الحجرية: وتوجد أسوار حجرية بارتفاع 1-2م تحيط بمناطق الحمى المنتشرة في الجبال والأودية، والتابعة لبعض الأفراد أو القبائل والعشائر في المنطقة، كما توجد بعض الأسوار التي بنيت لبعض الأسر أو القرى أو العشائر كحدود بين المناطق التابعة لها، وتتميز هذه الأسوار ببساطتها في طريقة بنائها وتشكيلها، فكانت غالبا تبنى بالحجارة فقط دون استخدام الطين، على عكس المتبع في بناء المنازل والحصون والمصاطب الزراعية.

4 العوامل التي أثرت على تخطيط حصون عسير

يدل تاريخ وأشكال البناء في منطقة عسير على اهتمام الإنسان بدقة التصميم والعمارة ومراعاة البيئة الطبيعية الوعرة للمكان، وتمتاز قرى عسير بمكوناتها الجغرافية والمناخية، حيث المدرجات الزراعية والهضاب والتضاريس المتنوعة، علاوة على تنوع طراز مبانيها التقليدية، وما يرتبط بها من سمات فنية متميزة. وفي كثير من القرى المنتشرة على قمم الجبال، أو السفوح تكون المساكن متقاربة يربط بينها طريق ضيق، وللطريق أبواب قديمة تؤدي إلى خارج القرية، حيث كانت تفتح في الصباح وتغلق في المساء حتى يأمن السكان على أنفسهم.

كان لأبناء عسير أساليبهم المميزة في تشييد بيوتهم وحصونهم وقلاعهم ومخازن غلالهم. فقد أثرت طبيعة المنطقة الجبلية المرتفعة ومناخها الرطب على سمات العمارة بالمنطقة التي تختلف عن العمارة بباقي شبة الجزيرة العربية، فعمارة منطقة عسير متأثرة تأثرا واضحا بالعمارة اليمنية المتمثلة في المساكن البرجية المبنية أعلى الجبال بينما تستغل سفوح الجبال في الزراعة، ونظرا لوعورة الأرض بالمنطقة فإن المساحة الأفقية للمبنى تعتبر صغيرة نسبيا. ومن ثم يتسع المبنى في صورة رأسية لكي يستوعب كافة احتياجاته الأساسية.

وعلى الرغم من التشابه الواضح مع عمارة اليمن إلا أن قرى عسير لا توجد بها حصون أو قلاع - كما هو الحال في اليمن وحضرموت - إذ أن أهل عسير اتخذوا لأنفسهم وسائل دفاعية أخرى لحمايتهم من غارات القبائل، وذلك ببناء مساكنهم أعلى الجبال وبنائها متلاحمة مع بعضها حتى يأمنوا ساكنوها على أنفسهم، وليصنعوا بيئة اجتماعية متلاحمة فيما بينهم، ويلاحظ تقارب البيوت من بعضها داخل بعض القرى، التي تنتشر على سفوح وقمم الجبال والرابط الوحيد بينها هو طرقات ضيقة ملتوية.

أما عن استخدامات المنازل ذات الطوابق المتعددة فإن مخازن الحبوب والأطعمة والمطبخ وخزان الماء خصص لها الطابق الأول، ويتوفر بداخلها نوافذ تطل على الخارج، ويقع مكان الغسل غالبا في الطابق الثاني، ويحتوي أيضا على غرفة واحدة أو غرفتين تخص إحداهما كبير العائلة، إلى جانب فسحة مكشوفة تتم فيها الأعمال المنزلية، ويحيط بها جدار عال لستر ما في البيت، وقد تسكن الأسرة في مبنى واحد بعيد عن غيره من المباني.

واللافت للنظر هو شكل بعض البنايات، الذي يسمى عند بعض المناطق في السراة بالحصون أو القصاب حيث تتسع من الأسفل لتضيق كلما زاد ارتفاعها فتأخذ شكل الهرم الناقص، ولهذا البناء ميزة جمالية وأمنية وهي أنه يجعل للمبنى قاعدة عريضة، ولا شك أن القدماء أدركوا مزايا هذا الأسلوب في البناء فبنوا على نمطه في أنحاء كثيرة من شبه الجزيرة العربية، كما أن هذا الطراز المعماري يشتمل على أبنية مختلفة الأشكال فمنها الدائري والمربع والمستطيل، وتتنوع استخداماتها فمنها ما يستخدم للسكن ومنها للدفاع أو لخزن الحبوب.

إن تصميمات المباني والبيوت في جنوب السعودية جاءت لتلبي شروط الموضوعية المناخية، وحتى تتكيف مع طبيعة البيئة، فقد تم استخدام أنواع معينة من الحجارة، ويعود ذلك إلى توفرها في تلك البيئة، مما ساعد في اعتمادها كشكل من أشكال العمارة في ذلك الوقت.

والسبب في لجوء البعض إلى بناء منازل بعدة طوابق بدلا من الاعتماد على الطابع السائد وهو البناء من طابق واحد بعدة غرف، يرجع إلى أن المناطق الجبلية تفتقر إلى المساحات الواسعة التي تستغل من قبل ساكنيها للزراعة, فقيمة الأرض مهمة جدا لأنها المصدر الأول للدخل والغذاء، خصوصا على سفوح الجبال وضفاف الأودية، ولذلك لا بد أن يكون المنزل على مقربة من مكان العمل حتى يسهل الوصول إليه ونقل المحاصيل.

وإلى جانب هذه النماذج من العمارة توجد المساكن التي استخدم فيها الطين والحجر، وتتميز بقطع حجرية رقيقة تسمى الواحدة منها النطف أو الرقف، حيث ترصف جنبا إلى جنب فوق كل مدماك طيني أثناء إقامته، وتكون ناتئة عنه لكي تحميه من الأمطار الغزيرة وحبات البرد الكبيرة.

هذه الرقف الحجرية التي تشبه ألواحا من الفولاذ وهي ذات أسنان حادة، استبدلت أولا في التصميمات العصرية بأفاريز بارزة من الطوب، ثم تطور الاستلهام بأن أصبحت مجرد خطوط مقلمة أو خطوط سطحية سوداء أو حفر بسيط خارجي ومتدرج أو شرائط خطية من الزجاج الداكن.

وتقام جدران المباني الطينية في المنحدرات الشرقية والسراة بمداميك أفقية، أسسها وأعاليها مبنية بالطين فقط، مما يجعلها أكثر تأثرا بالعوامل الطبيعية، ومن الملاحظ أن كثيرا من مباني الطين لها أسس استخدمت فيها الحجارة إلى ارتفاع متر أو مترين لدعم قاعدتها.

ويتكون البيت العسيري من الداخل من طابقين أو أكثر، ويشمل المدخل الذي يقع عادة في واجهة البناء، ثم الدرج ومكانه إما قرب المدخل أو في الفسحة التي يؤدي إليها المدخل، كان الطابق الأرضي يستخدم للماشية وحفظ الحبوب والأدوات الزراعية ونوافذه صغيرة وإن كثرت في أعدادها للتهوية والإضاءة، أما الدور الثاني فهو للسكن، ويتكون في الغالب من مجموعة من الغرف تضم مجلس الرجال وغرفة أخرى إذا ما كان هناك ما يسمى بغرفة النساء وثالثة لنوم الضيوف أو القسم الرجالي لغير المتزوجين من أفراد الأسرة، ومقلط (غرفة الطعام)، ومنامة أما المطبخ (الملهب) فيكون في الدور الأعلى.

والمجلس (غرفة الضيافة) يكون غالبا في الدور الأول وتكون أضخم غرف البيت وأكثرها أثاثا وألوانا، في حين يكون مكان المطبخ والنوم في الأجزاء العليا من أجل التهوية، أما البيوت العسيرية التقليدية (الحصون) فهي عادة ما تتكون من خمسة أو ستة طوابق يكون القسم الأول عبارة عن صالة للمعيشة ومطبخ, والقسم الثاني مجلس وغرفة للطعام والجزء العلوي غرفا للنوم.

وكان السور الخارجي المقام بالحجر للبيت العسيري لا يتعدى مترا أو أكثر بقليل وعادة ما يزرع أمام البيت حديقة, وهناك أسوار مزودة بأبراج نصف دائرية (لوحة21-29)، وكانت البيوت العسيرية طويلة بحيث يستطيع أي أحد أن يرى القرية كاملة وأصبحت البيوت عبارة عن تحصينات عسكرية تصلح للتحصن للجيوش

والعصابات, أدى كل ذلك لأن يتكبد العسيريون خسائر فادحة ليبنوا تلك الأسوار الشاهقة والتحصينات المنيعة ويحرصون على تعقب ورصد زوايا الكشف. ويستخدم الطابق العلوي من الحصن من أجل الغسيل (حضير)، يتكون من حجرة وحمام ويحط به سور، [9].

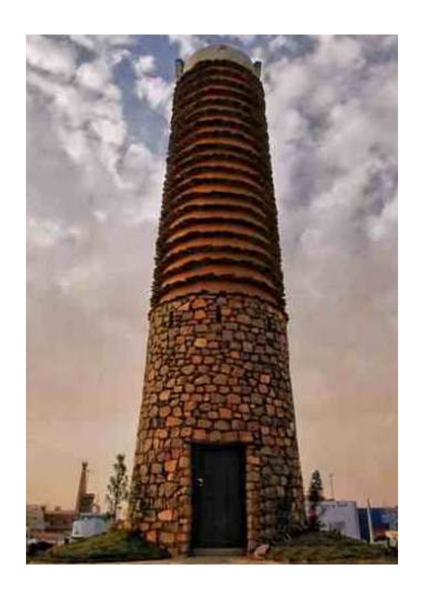
وأهم ما يميز البيت العسيري أنه لم يعرف في عسير ثقافة الحرملك أو ثقافة عزل المرأة وهذا بدوره أثر على البناء والعمران، وقد كان كل بيت يحتوي سورا من الحجر خارجه، [5]، ويتقدم المنزل رحبة واسعة تفضي إلى دهليز يشبه النفق ينتهي بمجلس واسع وذو مساحة معقولة، [6].

تدين العمارة العسيرية التقليدية للمربع بقدرته على احتواء كل مقومات الإبداع المعماري. فالمربع الذي يتقلص حجمه إلى مربعات أصغر فأصغر كلما ارتقينا للأعلى، تبرز دقة البناء وتميزه البصري من ثباته في الأرض إلى دخوله إلى السماء بشكل متناغم، سواء كان ذلك بيتا من طابق واحد أو برجا شاهقا بأدواره، وقاعدته التي قد ترتفع آلاف الأمتار عن سطح البحر في بعض الأحيان.

وكانت تلك الأبراج العالية التي تنهض وسط طبيعة خضراء وجبلية تعطي الفرصة لسكانها بتأمل الجمال فيما حولها، مثلما كانت تستخدم أيضا لمراقبة الأراضي الزراعية، أو لأغراض دفاعية كما هي الحال في عمارة القصبات التي تدافع من أعلى وتستخدم كمخازن في الأسفل، ويوجد بكل مبنى خزان كانت تجلب إليه المياه من الآبار والعيون على ظهور الرجال والدواب وتخزن في قدور وأوان فخارية.



لوحة23. برج دائري بالحجر



لوحة24. برج دائري بالحجر والطين



لوحة25. برج مربع



لوحة26. برج مربع



لوحة27. برج مربع بالطين والرقف



لوحة28. أبراج نصف دائرية بسور الحصون العثمانية



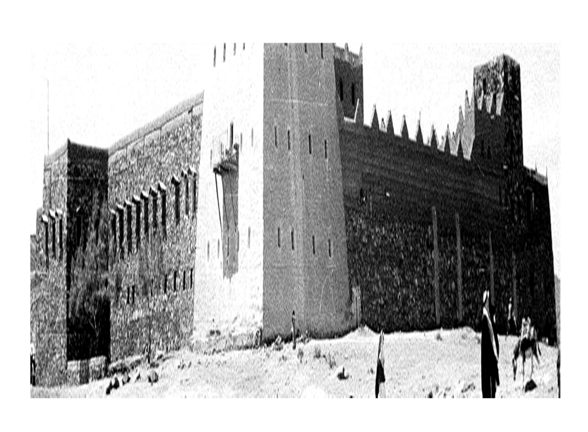
لوحة29. سلم وسقيفة تمثل قلبة السلم بأحد حصون عسير



لوحة30. سلم بأحد حصون عسير



لوحة31. أسقف بحصون عسير



لوحة32. القصر الأبيض بأبها




لوحة33. باب أحد الحصون بعسير لوحة34. مدخل بارز وشرافات ورقف بحصن بأبها

5 ملامح التخطيط العمراني لحصون عسير

تتكون عسير من مركز اجتماعي منظم يستقطب جميع أركان بنية المجتمع، ومجموعة المباني والمرافق المتميزة التي أوضحت قدرة الإنسان وقللت اعتماده على الأرض وزادت سيطرته على البيئة، [7].

ونظرا لوجودها في منطقة ذات مناخ صحراوي، فقد تم اللجوء إلى تطبيق معالجات بيئية عمرانية ومعمارية، تم تنفيذها وتطويرها بهدف الحفاظ على درجة الحرارة داخل المباني، وهذه المعالجات تعبر بصدق عن بعض مظاهر عمارة الصحراء، [10].

ورغم أن المعنى الحقيقي والوظيفي للعمارة في هذا الموقع هو خلق المكان للنشاط الإنساني والديني، ومن ثم كانت طريقة إيجاد هذا المكان وكيفية تجهيزه ليفي بالاحتياجات الإنسانية هي الأكثر أهمية، وهي التي تكون الأسس النظرية لتصميم المدينة المحاطة بالحصون، [11]، لتمنح قاطنيها الأمن ولتكون على صلة وثيقة بالأرض وفعالياتها، [7]، وتتمثل ملامح التخطيط العمراني فيما يلي:

5.1 الحصون والأسوار والأبراج

نشأت التحصينات الحربية مع نمو التجارة وازدهارها، حيث تضمنت في ثناياها إمكان السلب والنهب اللتين أوجبتا أنشاء تحصينات دفاعية تمكن من دفع الخطر، وكانت الحصون تشرف على المدن وتقوم كخط دفاعي أول أمام العدو، كذلك أنشئت لحماية الحدود من غارات المعتدين، وظلت الأسوار والاستحكامات من خصائص المدن عبر العصور، حيث كانت منذ فجر التاريخ تحاط بسور سميك مخططه مدور أو مستطيل، وحصنت الأسوار بالأبراج (لوبير، 1978. مرابط، 1953. هاردنج، 1971. شيحة، 1987). والدعامات البارزة لتتيح للمدافعين تحت الأسوار مساحة أوسع لمراقبة كل من يقترب منه وتصويب سهامهم نحو من يحاول نقبه من الأعداء. شكري، 1986. زكي، 1968). ونفذت ممرات بالأسوار، (زكي، 1969). وكانت الأبراج بارزة بروزا ضئيلا وموزعة على مسافات معينة بين كل منها والآخر دروة غير سميكة من الحجارة، الأمر الذي كان من أجله تبنى كوابيل يعتمد عليها ممشى السور، (زكي، 1969).

وتنقسم هذه التحصينات إلى نوعين مختلفين في الطراز والأسلوب، النوع الأول الحصون التي كانت تقام في الوديان، والنوع الثاني ما كان يشيد أعلى الجبال، زكى، 1968. حسن، 2000. هاردنج، 1971. قدرى، 1985. شكري، 1986)، [12]، [13].

وتتألف الحصون من شبكة دفاعية لم يقتصر بناؤها على الأجر بل كسوها بالحجارة، فقد كان للقلاع الرومانية مداخل تؤدى كل منها إلى ردهة تفتح على مدخل آخر إلى الفناء المكشوف، وتحيط الحواصل بالجدران الأربعة، (زكى، 1958) ، [14].

كان أهم ما اعتمدت عليه الاستحكامات هو الأسوار التي تمثل خطا دفاعيا متكاملا، وحتى تستطيع أن تحقق مهمتها بكفاءة لابد من تقوية بعض نقاطها على مسافات مختلفة بأبراج، وكان يشيد في وسط السور برج مرتفع تخزن فيه المؤن والسلاح والعتاد وليس لكي يكون آخر ملجأ للجنود يدافعون فيه عن أنفسهم. (زكي، 1958)، وكان لابد من تحقيق سهولة الاتصال بين الجند المدافعين عنها وتنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة، وهو أمر استدعى أن تخطط الأسوار بمواصفات وقياسات دقيقة تفي بهذه المتطلبات، وقد انعكست هذه الأمور على عمارة وطريقة إنشاء الأسوار بما اشتملت عليه من عناصر معمارية. (عثمان، 1985-1988).

لذلك عني المعماريون العسكريون بالأسوار، ووجدنا أنماطا منها ألحقت بها ممرات وأبراج، وأسوار سميكة ومزدوجة ومتعددة وعالية مرابط، 1953. الفلكي، 1967. زكى، 1968. شيحة، 1988)، [15]، ومزودة بوسائل دفاعية كثيرة كالسقاطات والمزاغل (لوحة5-19).

وتتضح فكرة الإعاقة من خلال موانع أساسية تكلف المهاجمين مشقة الهبوط والصعود وتسهل على المدافعين خلف الدراوي الحجرية والتي تمثل عناصر دفاعية أساسية متعددة ومتقاربة، ثم تطور الأسلوب نتيجة التجربة والممارسة فحتى تكون الإعاقة تامة للجيوش المهاجمة وحتى لا تصل بسهولة نتيجة إمكانية تسلق الحصون المتمثلة في الأسوار كانت الفكرة في إنشاء حصون عالية يصعب تسلقها بجعلها عمودية تماما عند أسفلها، وكانت الهضاب الصخرية المستديرة والجروف المتطاولة غير القابلة للتسلق التي تؤمن حماية طبيعية ممتازة باستثناء رقعة صغيرة من الأرض المنبسطة هي المواقع المفضلة لتلك الحصون، وبالتالي فقد كانت هيئتها غير منتظمة بما ينسجم مع طبوغرافية الأرض التي تقام عليها، وكانت تشاد في صفوف على طبقات متراكبة فوق المنحدرات الشديدة، (مولر، 1984).

وكان تحقيق ذلك ببناء السور الذي بني أولا باللبن، ثم رغبة في زيادة متانته لمقاومة ضربات المهاجمين بني السور بالحجر، وكان هذا التطوير محققا لإمكانيات أكبر في الدفاع ويزيد من إمكانية الدفاع اختيار موقع مرتفع للحصن لتحقيق رؤية أفضل، وليمكن من ركوب القوات المهاجمة، وصمم السور على أن يكون أعلاه على هيئة ممر أو ممشى يمكن الجند المدافعين من تأدية عملهم بمستو عال ويحقق للجند المشاة أو الركبان رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع. (عثمان، 1988).

وقد روعي في بناء الأسوار ميل الجدران إلى الداخل، ولعلها ترجع إلى أن مواد البناء المستعملة كانت ضعيفة فكان لابد من تقوية الحصن بجعل قاعدته سميكة ما أمكن، (زكى، 1968). إذ هي المعرضة قبل كل جزء فيه للهجوم، (شكري، 1986)، وقد كان البيزنطيون يشيدون القلاع ذات الأسوار المائلة أيضا وأن قل سمك هذه الأسوار. زكى، 1958)، [15].

الحصن من الناحية المعمارية عبارة عن بناء مربع أو مستطيل مكون في معظم الأحيان من ثلاثة أدوار وقد تزيد أو تقل، وتضم هذه الأدوار عددا من الحجرات لإقامة الجنود، وبطبيعة الحال يوجد داخل الحصن وحدات معمارية أخرى هامة كمصادر المياه ومخازن للأسلحة والحبوب وفرن أو عدة أفران ومراحيض وغير ذلك مما يفي بإقامة الجنود داخل الحصن لفترة طويلة خاصة إذا ما طال الحصار حوله، بالإضافة إلى برج صغير للمراقبة (الراقوبة) لمتابعة الموقف في خارج الحصن، كما يضم من الداخل أيضا ممرات ضيقة وفتحات للسهام تسمح بدخول الهواء والضوء، [16].

(شيحة، 1988)، وتميزت الحصون التي كانت تشيد أعلى قمم الجبال بأنها أقيمت على صخور منحدرة، وتتضح فكرة الإعاقة من خلال الحصون المنحدرة (Tolos)على الطريقة العربية التي تتمثل في المنحدر الصخري الذي يكلف الجيوش المهاجمة مشقة الهبوط والصعود حتى تكون الإعاقة تامة ولا تصل بسهولة إلى الحصن، وقد كانت الفكرة في إنشاء حصون عالية يصعب تسلقها بجعلها عمودية تماما عند أسفلها، فليس فيها دائما نظام إقامة السور المزدوج والمدخل يؤدى إلى ردهة تفتح على مدخل أخر إلى الفناء المكشوف، وتحيط الحواصل بالجدران الأربعة.

ينفرد البيت العسيري بوصفه محصنا (Fortress)، ولعل ما يدلل على ذلك وصفه بمفردة "الحصن"، ففي الثقافة العسيرية تستخدم هذه اللفظة للإشارة إلى المنزل كدلالة على أهمية المنزل ومدى الحاجة إليه كحصن, فالحصن لفظة أكثر استغراقا في التحضر كمفردة فهي تشير إلى الإرتباط الأصلي والأزلي بالأرض فهذا الحصن في أرضي عكس كلمة منزل والتي توحي بأن صاحبها كان مرتحلا ثم نزل إلى مكان بعد رحلة، [17].

كانت الحصون هي أول أسس التخطيط ويتمثل تخطيط التجمعات العمرانية بمنطقة عسير في أنه تتوسط كل منها وتحيط به الحصون القوية، وأصبح أساس تصميم التخطيط القرب من مصادر المياه، وأقيم في بؤرة كل مركز عمراني وحوله الحصون الأخرى والمنازل أو قريبا منه، ثم امتد هذا التأثير على تخطيط المدينة ككل حيث تتوزع الحصون بعد ذلك، (عثمان، 1988). مما منح أهمية له باعتباره المقصد الأول في التخطيط، وكان من شروط إنشاء الحصون دفع المضار وجلب المنافع فيتم دفع المضار بإنشاء الأسوار حولها وكذلك جلب المنافع باختيار المواضع طيبة الهواء، ومراعاة شروط اختيار الموقع لمجابهة المناخ والظروف البيئية. (عثمان، 1988. الرفاعي، 1991).

إذن، فقد اتخذت الحصون منذ فجر التاريخ في مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام وغيرها التخطيط المتمثل في إقامتها أعلى منحدرات صخرية (لوحة1-2) وإحاطة كل منها بسور مزود بدعامات أو أبراج بارزة، والأبراج ذات جدران مائلة إلى الداخل تعلوها دروة.

تميزت الأبراج والحصون بتعدد الطوابق وتقل مساحة البرج في الأعلى حيث ترتد الواجهات نحو الداخل لتشكل هرما ناقصا. كما أن البرج مصمم على أن يكون أعلاه على هيئة ممر أو ممشى يمكن المدافعين من تأدية عملهم ويحقق لهم رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع. وفى الوقت نفسه كانوا يزيدون من مناعة تلك الأبنية بزيادة عدد كوات الرمي فيها، وإقامة طبقات من الشرفات الدفاعية متراكبة فوق بعضها بعضا تخترقها فتحات الرمي، وقد ركزوا اهتمامهم بشكل خاص على تقويه الجدران وإقامة الحواجز وزيادة عدد نقاط الرمي الجانبي.

أقيمت الأبراج على شكلين المربع والدائرة يتوج البرج شريط به نتوءات بارزة (صوبا) عبارة عن نحت بأشكال أنصاف أعمدة مندمجة عليها عقود نصف دائرية (لوحة22) أو بدون عقود هو النحت الذي يزخرف به إفريز البناء وأسواره، ويعلو بعض الأبراج شريط باشكال هندسية بأحجار بيضاء تشكل معينات كما يعلو البعض الأخر دروة بارزة على كوابيل حجرية، أو حليات بارزة من الطين (تشاريف) على كوابيل من الخشب بطول الجدران لتقويتها.

ونجد في الأبراج المربعة أن الواجهة الواقع بها الباب تتميز بوجود قسم مرتد بمنتصف الواجهة يقع به الباب وتعلوه نافذة بكل طابق من طوابق البرج، وهناك دروات تعلوها شرافات نصف دائرية أو مدرجة أو هرمية.

تتخذ حصون عسير الشكل المربع أو المستدير ويمثل الحصن صرحا ضخما (مرابط، 1953)، يعتبر الملجأ الأخير للمدافعين ويسمى (donjion)، (زكي، 1958)، وقد كان استخدام هذا العنصر في القرن الثاني عشر والذي تمثل في البرج المركزي المستدير والذي كان في البداية مربع الشكل ويسمى الخزنة أي الجزء الأوسط أو الرئيسي في القلعة. وهذا الحصن هو أمنع أجزاء القلعة وأقواها، وكان الحصن حينذاك قد تحول إلى الشكل المستدير لأسباب منها مقاومة البرج المستدير لطلقات المقذوف بشكل مؤثر. (زكي، 1958)، وتلك الأبراج القوية التي تتألف غالبا من عدة أدوار وشرفة (terrace) تعتبر من المتانة التي لم يسبقها مثيل في العمارة العسكرية، فقد كانوا يشيدون تلك الحصون في القلاع التي تحتاج إلى تقويه أعمال الدفاع ومنها حصون عسير والمباني القوية التي شيدت في أشد المناطق خطرا. (الكردي، 1974). وقد اضمحلت أهمية البرج الداخلي منذ عام (1200م)، وقل وجوده منذ هذا التاريخ، (زكي، 1969).

وتضمن وجوب بناء برج محصن أو خزنة تكون هي خط الدفاع أو الملجأ الأخير في حالة الهجوم، ووجود وجود أبراج مستديرة (لوحة23-24) أو مربعة الشكل (الكردي، 1974).

وقد اتضحت عيوب البرج المربع في حروب الحصار المتعاقبة حيث لم يكن مبناه يسمح إلا لحامية محدودة العدد ما لم يكن باب البرج يسمح للحامية بالانسحاب عندما تضطر الأحوال، كما أنه من المساوئ الفنية التي تلازم كلا من البرج المربع أنه معرض من زواياه للتدمير فضلا عن أن شكله لا يسمح بوقايته التامة بواسطة النيران، (زكي، 1969). وكان البرج يتبع التخطيط المربع تحول بعد ذلك إلى التخطيط الدائري في القرن الثاني عشر. وفي القرن 19م عاد البرج الدائري مرة أخرى، وهو في هذه الحالة يعد برجا للمراقبة.

ونخلص من ذلك أن حصون عسير قد استندت في أسس إقامتها على الحصون في شبة الجزيرة العربية ومصر والعراق والشام حيث سبق أن اجتمعت خصائص الأسوار، فظهرت الأسوار المحصنة بالأبراج والممرات وإنشاء الحصون العالية على الجروف الصخرية التي يصعب تسلقها وخلق موانع أساسية تكلف المهاجمين مشقة الهبوط والصعود وتسهل للمدافعين خلف الدراوي الحجرية مهمة الدفاع.

ونجد كذلك الحرص على التأثر بوجود الممر أو الممشى خلف الدراوي الحجرية أعلى الأسوار والأبراج والحجرات المطلة على الواجهات، وكانت الأجزاء السفلية من الجدران حتى مستوى أعتاب الأبواب تقام بالحجر غير المنتظم، أما الأجزاء العليا فتقام بالطين المخلوط بقطع صغيرة من الحجر.

وحرص المعماري على إقامة الحصون على المناطق الصخرية المرتفعة وأقيمت سلالم لتلافي عدم انتظام سطح المنطقة أو أبقي عليه حسب طبيعته الصخرية ليكون ذلك سببا في إعاقة الهجوم على الحصن.

وتميزت حصون عسير التي أقيمت على التخطيط العربي بأنها أقيمت على تلال صخرية مرتفعة، واتجهوا إلى تقوية الجدران الساترة حتى تقاوم القصف أو حفر الأنفاق تحتها عن طريق زيادة سماكات البناء وإقامة الأسوار والأبراج التي تستدق تدريجيا بالارتفاع وإقامة الأجزاء السفلية من الجدران بكتل الحجارة الضخمة.

يتكون الحصن من عدة أدوار تشكل مانعا قويا يعوق حركة الجنود المهاجمين، حيث كان يقف على قمة الجبل، وأقيمت الجدران الخارجية من الحجارة غير المنتظمة عليها طبقة ملساء من الملاط تعوق تسلق المهاجمين، ومزودة بالمزاغل لرمي السهام، ويتكون الحصن من عدة أدوار ويمثل الدور العلوي دروة يقف خلفها المدافعون، وله باب ضخم يصعب على المهاجمين اقتحامه، ويعلو الحصون دروات مكشوفة. وتؤدي إلى هذه الحصون ممرات ضيقة وملتوية تخترق مناطق صخرية

شديدة الوعورة، وهناك سلالم من أحجار البازلت تنتهي بالبوابات الخاصة بهذه الحصون. هذه المكونات المتمثلة في الحصن المنيع المدجج بالسلاح والمقاتلين والأرض الوعرة تجعل من اقتحامه مستحيلا بل تمكن من محاصرة المغيرين وإبادتهم.

تؤدي الممرات والسلالم إلى المداخل التي يتكون كل منها من بوابة ضخمة، وتفضي بوابة الحصن إلى بيوت الحصن وحجراته والمكونة من عدة أدوار ولها نوافذ ومزاغل ذات أعتاب خشبية. والسلالم بعضها خارجي مكون من قطع حجرية مثبتة بالجدران تنتهي بقلبات تتقدم الأبواب (لوحة29-30).

وكان بكل حصن مخازن للسلاح تشمل الدروع والسيوف والرماح والأقواس والدبابات والمنجنيق وغيرها، كما كان به مخازن للطعام تكفي فترات الحصار الطويلة ومخابئ للنفائس وحظائر للماشية. وأقيمت جميع الأسقف بالخشب والبوص (لوحة7-31)، وحرص المعمار على وضع الكمرة الرئيسية (المعدال) من جذوع الأشجار وتحمل فوقها كمرات ثانوية تسمى سواري أو سهاما لحمل السقف.

5.2 تجميع المباني في مجموعات ذات كثافة بنائية عالية

اتبع في إنشاء حصون عسير عدد من الشروط البيئية التي حكمت التصميم حيث أنها كانت ذات مباني محصنة سواء كانت حصون أو منازل وشوارع رئيسية طولية وعرضية تلتقي عند المركز، مع بنائها ملاصقة لبعضها البعض بهدف تقليل مساحة الأسطح الخارجية لتحقيق العزل الحراري المناسب، ولتقليل مساحة الفراغات البينية المكشوفة، وحرص المعمار على أن يكون هناك ممرات ضيقة بينها.

وتبنى البيوت بشكل متلاصق مع بعضها في تجمعات مندمجة أو متباعدة بشكل تحيط حياة سكانها وتفكيرهم الدائم بالدفاع عنها إلى درجة أن بعضها بني على شكل حصون أو قلاع أو غيرها في كل قرية تقريبا بحيث يمكن حمايتها والدفاع عنها من الاعتداء.

مما يساعد على إيجاد تيارات هوائية تلطف من حرارة الجو بحيث تمثل كتلة معمارية واحدة لمقاومة العوامل المناخية، (الخولي، 1977)، ويرجع ذلك إلى ضيق المساحة المقام عليها المنازل ووقوعها داخل نطاق الحصون الدفاعي، ونظرا لتصميم الشوارع الضيقة لجأ المعماري إلى إقامة الأفنية الداخلية لتوفير الهواء والإضاءة الطبيعية وتوفير الخصوصية الاجتماعية لساكني المنازل، وساعد سمك الحوائط على توفير الظلال وتقليل التعرض لأشعة الشمس. إبراهيم، 1982).

وتميزت المباني بالتوجيه المناسب بهدف تعريضها للهواء، كما حرصوا أن يوفروا احتياجاتهم بزراعة أجزاء من الأراضي حولها، حيث تساعد على تحسين البيئة المناخية وتساعد على تلطيف الهواء وخفض درجة حرارته مع زراعة أشجار كثيفة كساتر للمباني ولحمايتها من الرياح، كما أن هذه الأشجار تعمل علي خفض درجة الحرارة نتيجة ترطيبها للبيئة العمرانية.

ونجد أن الدور العلوي من الحصون يمثل حضيرا يتكون من حمام وحجرة ويتقدمه سطح مكشوف محاط بسور ليحجب النساء عند صعودهن إلى الحضير، أو ليمكن المدافعين من صد الهجوم على الحصون من أعلى.

5.3 ضيق الشوارع بين المنازل

تميزت بعض الحصون بوجود تباعد بينها لتسهيل الدفاع ونجد ذلك في الحصون ذات الصفة الدفاعية العسكرية أما الحصون المستخدمة للسكن فنجد بينها أزقة وممرات ضيقة. وساعد ضيق الشوارع بين المنازل على قلة تعرضها لأشعة الشمس المباشرة خاصة مع ارتفاع المباني والتنوع في الاتساع حيث كان لكل منها وظيفة خاصة.

وكان يتم توجيه الشوارع من الشمال إلى الجنوب حتى لا تتعرض واجهات المباني والطرق لأشعة الشمس وحتى لا تكون عمودية مع حركة الشمس الظاهرية، وهذا ما يجعل الشوارع تكتسب ظلالا طوال النهار واكتسابها الرياح الشمالية مع نسبة التظليل العالية في هذه الشوارع.

كما تميزت الشوارع بتعرجها وانتهائها بأماكن واسعة قليلا (مجازات) تقوم بدور الفناء وتعمل على تخزين الهواء المعتدل البرودة في الليل وتمنع تسربه مع أول هبوب للرياح، كما أن عرض الشوارع والأزقة محدودا وتتخلل الكتل العمرانية ساحات. (سلمان، 1982).

كانت الشوارع الضيقة مع الأفنية الداخلية المكشوفة أهم مظاهر التخطيط العمراني، وقد تزيد نسبة عرض الفراغات المكشوفة إلى ارتفاعها وهذه الفراغات تقوم بتوفير الظلال والحماية من أشعة الشمس مما يسمح بانتقال الهواء من الشوارع الضيقة إلى الأفنية الداخلية التي تمثل مناطق الضغط المنخفض خاصة أثناء النهار وتعرضها لأشعة الشمس.

وكان عدم جعل الشوارع والممرات مستقيمة بهدف تحويلها إلى أنفاق للرياح الشتوية الباردة أو الرياح الساخنة المحملة بالأتربة والرمال، كما أن ضيق الشوارع يمنع حدوث ذلك من خلال التعرجات والانحناءات وإتاحة مناطق مظللة أيضا، ولجأ المعماري إلى تنفيذ بروزات بواجهات المباني المطلة على الشوارع، (عثمان، 1988). ويساعد بروز الطوابق بشكل متراكب لكل طابق عن الآخر على حركة الهواء وتجدده من أسفل إلى أعلى. واستخدمت الرقف الحجرية بالأدوار لتظليل الواجهات بالأدوار العليا وحمايتها من الأمطار أي أن الرقف لم تستخدم إلا في الأدوار العليا أو العمائر المقامة بالطين.

5 .4 الفناء الداخلي

إن غالبية بيوت عسير القديمة تتسم بالتشابه في مرافقها بحيث تحيط بها الأسوار وتلحق بها حظائر الماشية ومرابط الخيل والإبل والمخازن، وهي تتكون بشكل عام من طابق أو طابقين إلا إذا كان مالكوها من الأغنياء حيث ترتفع طوابقها عندئذ إلى سبعة طوابق. وأحيطت بعض الحصون بأسوار خارجية حيث يتقدم كل منها حوش مكشوف وتم تدعيم بعض الأسوار بالأبراج النصف دائرية كما في قصور آل عائض (لوحة5)، وزودت الأسوار والأبراج بالمزاغل.

وتعتبر التأثيرات البصرية بين الحصون وبيئاتها العمرانية أحد أهم محاور العلاقة بينهما من حيث تباين التشكيل البصري بين الفراغات الخارجية والفناء حيث أنه يمثل أكبر فراغ عام داخل الحصن، مما يعطي إحساسا غامرا بالتباين الفراغي بين الفراغات الضيقة المتعرجة المليئة بالحركة والحياة وبين الفناء المتسع المنتظم البسيط التشكيل. (صادق، 1999).

ويعتبر الفناء بالحصون ذا أهمية معمارية ووظيفية، فقد يكون مغلقا عندما يحاط بالوحدات من الجوانب الأربعة أو مفتوحا عندما يحاط بالوحدات من ثلاثة جوانب، [18].

وقد كان للعوامل المناخية أثر كبير على تخطيط الحصن وتصميم عناصره الأساسية، (خير الدين، 1997). حيث تعد المنطقة المحصورة بين الحجرات فناء داخليا وسط مسطح الحصن لإضاءة وتهوية الوحدات الداخلية حيث أنه مغلق بإحاطته بالوحدات من الجهات الشرقية والشمالية، ونظرا لإحاطة هذا الفناء بالمباني المرتفعة فإنه تتوافر به الظلال في فصلي الصيف والشتاء، كما أن درجات الحرارة تقل عن خارج هذا الفناء ما بين أربع إلى سبع درجات، [19].

كما تتفرع منه ممرات ضيقة تجذب تيارات الهواء إلى الداخل حيث كان لهذه الممرات دور كبير في تزويد الحجرات بالضوء والهواء أيضا من خلال الشبابيك المنفذة به من أعلى.

5.5 الفتحات

تشمل الفتحات بحصون عسير المداخل والأبواب والنوافذ والرواشن والمزاغل، فقد ظهرت المداخل العالية التي يرتقى إليها بسلالم، والمداخل ذات المرافق العديدة، والغرض منها تكبيد العدو المهاجم للحصن أفدح الخسائر في محاولة الانطلاق من باب الحصن. (زكي، 1969). وهناك نوع آخر من المداخل حيث توجد مداخل عميقة بها ممرات متتابعة لتعطيل العدو. (مرابط، 1953).

وتميزت حصون عسير بالمداخل المرتفعة وعليها أبواب ضخمة من الخشب ذات عوارض (رؤوس) مدعمة بالمسامير الحديدية المكوبجة ذات الرءوس الكبيرة ويدور كل باب على عقب وسكرجة (لوحة14)، وكان يتم وضع كتلة خشبية أعلى فتحة الباب وهو ما رأيناه بعد ذلك في العقد الضحل أو عقد التخفيف.

وتميزت بجدران سميكة ونوافذ صغيرة من شبابيك وأبواب حيث أن عددها محدود ومسطحها صغير للغاية حتى أن الحوائط الخارجية للمباني تبدو كما لو كانت صماء ومصمتة، وتكون الفتحات ضيقة من الداخل واسعة من الخارج لتوسيع زاوية الرؤية، حيث تستخدم للحراسة والمراقبة، كما أن موقع كل فتحة يتم اختياره بدقة وبحكمة وكانت النوافذ الضيقة تمثل مداخل للهواء يدفع إلى داخل الغرف ليخرج من الجانب الآخر لإتمام حركة الهواء.

كما تؤدي إلى التخفف من حدة أشعة الشمس المباشرة وغير المباشرة وتتحكم في مرور الضوء، وتكون الفراغات في الجزء العلوي الذي يمثل مستوى النظر والربط بين الداخل والخارج حيث تحقق الخصوصية وتمكنهم من رؤية المنظر الخارجي مما يعطي إحساسا بالاطمئنان.

أما الأدوار العليا فنظرا لقلة سمك جدرانها ودفء الهواء بها مساء فيتم تنفيذ فتحات نوافذ تعلوها مناور لتزويد هذه الأدوار بالهواء البارد ليلا.

استخدم المعماري بالحصون المستخدمة للسكنى النوافذ الضيقة العالية (المضارب) بالدور الأرضي وهي فتحات في البناء تضيء الأدوار السفلية فيه المستخدمة كمخازن أو حظائر وتسمى ريشا أو سبقا. أما النوافذ العليا فمتسعة، ويعلو النوافذ بالأدوار العليا مناور (لهوج - ومفردها لهْج) وهي فتحات علوية تستخدم للتهوية والإضاءة في الغرف والمجالس. بينما استخدم المزاغل في الحصون الدفاعية. وتميزت بعض الحصون بوجود رواشن أو شرفات تقوم على كوابيل خشبية أو براطيم مثبتة بشكل مائل تشكل زاوية حادة مع البراطيم الممتدة من السقف (لوحة32).

كما تميزت الحصون بالأبواب المصنوعة من الخشب والمدعمة بالشرائط والمسامير الحديدية وتميزت الأبواب بأنها واقعة بالقطاع المرتد الذي يتوسط الواجهة بالأبراج الحجرية، أو بدخلة بالعمائر السكنية (لوحة33)، وهناك أحد الحصون الذي أقيم الباب الخاص به بين كتفين يتوجهما صف من الشرافات أو سقف بشكل جمالوني (لوحة34).

وتميزت الأبواب والنوافذ بأنه يعلوها أعتاب من الحجر أو الحجر التي اتخذت شكلا معقودا بعقد ضحل من أعلى وأعتاب من الخشب أيضا، وهناك أبواب ونوافذ تعلوها عقود نصف دائرية أو ضحلة من الحجر (لوحة11).

أدى غياب الفناء الداخلي كمنظم للإضاءة والتهوية والحرارة في بعض حصون عسير إلى أن يوجه المعماري المنازل نحو الخارج لتفتح عليه بنوافذ كثيرة وواسعة، قد تشمل كامل الواجهة في كثير من الأحيان، فكانت بمثابة معالجة مناخية شكلتها الظروف الاجتماعية والدينية للتغلب على الظروف المناخية، فقد لجأ البناءون بتهوية المنازل لتسمح بدخول أكبر قدر من الهواء من هذه الجهة. ومن ثم استخدم الشبابيك لتغطية الفتحات والتي تحقق تأقلم التكوين المعماري مع الظروف المناخية بما يحقق المحافظة على القيم الدينية والاجتماعية.

وتميزت حصون عسير بتفاوت عدد الشبابيك من مبنى إلى آخر تبعا لاختلاف التصميم الداخلي لكل مبنى كما يتفاوت عدد الشبابيك بالواجهات الرئيسية. وقد نفذت الشبابيك السفلية بحشوات خشبية تدعمها في الدور الأول أسياخ حديدية أما شبابيك الأدوار العلوية فكانت من حشوات خشبية. ويعلو بعض الأبواب والنوافذ مظلات مثبتة بالجدران أو محمولة على أعمدة من الخشب، والمظلات من كمرات خشبية غطيت بالبوص وتعلوها دكة من خليط من الطي وكسر الحجر.

ووجدت الرواشن وهي عبارة عن نوافذ خشبية بارزة لها شيش مفتوح وستائر متشابكة ومعشقة مع بعضها، (حريري، 1991). ولم تكن مجرد عناصر تضاف على واجهات المنازل بل كانت امتدادا فراغيا ومعماريا وإنشائيا وجزء من الحجرات الملحقة بها. بخاري، 1981).

وكان الروشن عبارة عن دكة مبنية من الحجر تبرز عن سمت الجدار، وترتفع عن أرضية الفراغ الداخلي ويركب عليها نوافذ بارزة تعمل على إدخال الهواء يركب على الفتحات بعد تجهزه وتصنيعه بالزخارف. (مغربي، 1985. الحارثي، 1999).

وقد كان للروشن أهمية كبيرة في تحسين وتجميل المظهر الخارجي للمنزل، وتحقيق الموائمة الدينية والاجتماعية، والتحكم في أشعة الشمس وشدة الإضاءة النافذة إلى داخل المنزل وكذلك التحكم في حركة الهواء وكميته، والحصول على الظلال على واجهات المباني، واستغلال البروز إلى الخارج، (حريري، 1991)، فضلا عن استخدامه للمراقبة.

أما المزاغل فقد استخدمت في جميع الاستحكامات الحربية عبر العصور، (مرابط، 1953). وانتشرت بحصون عسير وكان المزغل عبارة عن شق بالجدار يستطيع المدافع من خلاله استخدام وسائل الدفاع ضد العدو من الخارج، واستخدمت المزاغل بأسوار وأبراج حصون عسير لرمي السهام على القوات المهاجمة، وهي عبارة عن فتحات ضيقة، ويلاحظ كثرة عدد المزاغل مما يعكس العدد الهائل للمدافعين عن هذه الحصون.

5.6 مواد البناء

المواد الداخلة في الأبنية القديمة مأخوذة كليا من المحيط الجغرافي فإن توافرت فيه الأحجار الصالحة للبناء قام السكان ببناء مساكنهم من الحجارة الخالصة أو بعض الطين، أما في المناطق التي تقل فيها الحجارة أو تكون غير صالحة فغالبا ما تدعم الحجارة بالطين في بناء الجدران، وفي المناطق التي تندر فيها الأحجار فتبنى

البيوت من الطين الخالص بشكل مائل من الخشب والطين كي لا تتراكم على الوسط مياه الأمطار، وتكثر في المنطقة نسبة الهطول المطري والعواصف والرياح العاتية نظرا لارتفاع المنطقة عن سطح البحر إلى حد يصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف متر على الأقل في معظمها.

وتختلف المواد التي تبنى منها البيوت باختلاف موقعها الجغرافي وارتفاعها، ففي الجزء الأوسط الشاهق الارتفاع تبنى معظم البيوت من الحجارة فقط أو من الطين والحجارة المتوافرة في المنطقة، أما في الجزء الغربي فتبنى البيوت من الأخشاب والأعشاب وجذوع الأشجار، وفي الجزء الشرقي تنبى البيوت من مواد مختلفة مثل الحجر والطين والأخشاب والشعر.

وأقيمت الحصون بالأحجار الغير منتظمة والتي تشمل الدبش كبير الحجم تتخلله قطع صغير من الحجر لملء الفراغات، كما أقيم بعض الحصون بالطين ولذلك غطيت الجدران بالملاط وهناك بعض الأبراج المقامة في الأدوار الأرضية بالحجر وأقيمت الأدوار العليا بالطين، وهناك أبراج أقيمت جميعها بالحجر، وفي جميع الأحوال غطيت الجدران من الداخل بالملاط أما من الخارج فاقتصرت التغطية بالملاط على الجدران المقامة بالطين.

واستخدمت المواد التي تساعد على حفظ الحرارة ومنع تأثير أشعة الشمس والعزل الحراري كالطين، ويعد هو المادة الأساسية للبناء بجانب الأحجار التي غالبا ما تستخدم في بناء الأساسات والمداميك السفلى في المباني، وتتكون الأسقف من الخشب، وتم اللجوء إلى وسائل لحماية الجدران وأساساتها ببناء الأجزاء السفلية بالحجر الذي يوفر عزلا حراريا جيدا للفراغات، [20]، ويساعد على احتفاظ الفراغات الداخلية بهوائها البارد معظم ساعات النهار أثناء ارتفاع درجة حرارة الهواء بالخارج.

واستخدم الطلاء المتعدد الطبقات لحماية المباني بالجص (تيبه، 1990)، وهو من المعالجات البيئية في العمارة، حيث أنه مادة رخوة هشة قابلة لامتصاص رطوبة الهواء، وانتشر استخدامه في طلاء الحوائط في المناطق ذات درجات الحرارة والرطوبة العالية حيث أن اللون الأبيض يعكس أشعة الشمس ويقلل من امتصاص الأسطح للحرارة وعند تعرضه للحرارة في الجو الجاف فإنه يفقد الرطوبة المخزونة مما يتسبب في انخفاض درجة حرارة سطح الجص والهواء الملامس لها، ويعمل الجص على عزل الجدران وحمايتها من المطر وتقويتها، ويزيد تكرار طبقات البياض الخارجي والداخلي عبر السنين علي الحوائط والأسقف من العزل الحراري.

الخاتمة ونتائج البحث

تنفرد منطقة عسير بوجود عدد من معالم التراث العمراني التي تشمل البيوت التراثية والقصور والقلاع القديمة التي لعبت دورا كبيرا في التحصين والدفاع عن المنطقة. حيث اتخذ أهل عسير لأنفسهم وسائل دفاعية لحمايتهم من غارات القبائل، وذلك ببناء مساكنهم أعلى الجبال وبنائها متلاحمة مع بعضها، ويلاحظ تقارب البيوت من بعضها داخل بعض القرى، التي تنتشر على سفوح وقمم الجبال والرابط الوحيد بينها هو طرقات ضيقة ملتوية.

تتسع الحصون من الأسفل لتضيق كلما زاد ارتفاعها فتأخذ شكل الهرم الناقص، ولهذا البناء ميزة جمالية وأمنية وهي أنه يجعل للمبنى قاعدة عريضة، كما أن هذا الطراز المعماري يشتمل على أبنية مختلفة الأشكال فمنها الدائري والمربع.

انتشرت ثلاثة أنماط للعمائر حسب الطبيعة الجغرافية بالمنطقة الجبلية بالسهل الساحلي ومنطقة الهضبة، حيث تنفرد كل منطقة من المناطق الثلاث بنمط معماري وأسلوب بناء يتناسب مع طبيعتها والنشاط الاقتصادي لسكانها والظروف السياسية والاجتماعية والأمنية، والعوامل البيئية. الأول بالجزء الأوسط ويشمل المنطقة الجبلية الشاهقة الارتفاع والقسم الأكبر من البيوت مقام بالحجر، وانتشر البناء بالحجر والطين أو بالطين فقط. والثاني بالجزء الغربي ويشمل سهول تهامة الساحلية وأقدام المنحدرات الغربية للمنطقة الجبلية، وقد استخدم فيه الحجر لبناء بعض المباني في القرى الكبيرة مثل محائل وبارق ورجال ألمع. والثالث بالجزء الشرقي ويضم منطقة الهضبة وأغلب بيوته مبنية من الطين.

تتشابه طريقة بناء البيوت الحجرية في جميع أنحاء منطقة عسير، حيث تبدأ بتسوية موضع البيت وذلك بحفر نحو نصف متر لجدران الأساس، وتوضع في الحفرة صخور كبيرة بشكل منظم، ثم تشيد فوقها جدران البيت. وانتشر اسلوبان في طريقة بناء البيوت الطينية الأول أن يبنى البيت بكامله من الطين، أما الأسلوب الثاني في بناء البيوت الطينية فهو أن يبنى أساس البيت بالحجر بارتفاع متر أو مترين ثم يستكمل البناء بالطين.

كانت الحصون هي أول أسس التخطيط ويتمثل تخطيط التجمعات العمرانية بمنطقة عسير في أنه تتوسط كل منها وتحيط به الحصون القوية، وتتخذ حصون عسير الشكل المربع أو المستدير، ويلاحظ أن أكثر المساكن في عسير تضيق كلما ارتفعت الجدران بحيث يصير شكل البناء كالهرم الناقص.

استندت حصون عسير التي أقيمت على التخطيط العربي في أسس إقامتها على الحصون في شبة الجزيرة العربية ومصر والعراق والشام حيث سبق أن اجتمعت خصائص الأسوار، فظهرت الأسوار المحصنة بالأبراج والممرات وإنشاء الحصون العالية على الجروف الصخرية المرتفعة والتي يصعب تسلقها وأقيمت سلالم لتلافي عدم انتظام السطح أو أبقي عليه حسب طبيعته الصخرية ليكون سببا في إعاقة الهجوم على الحصن.

واتجهوا إلى تقوية الجدران الساترة حتى تقاوم القصف أو حفر الأنفاق تحتها عن طريق زيادة سماكات البناء وإقامة الأسوار والأبراج التي تستدق تدريجيا بالارتفاع وإقامة الأجزاء السفلية من الجدران بكتل الحجارة الضخمة.

أحيطت بعض الحصون بأسوار خارجية حيث يتقدم كل منها حوش مكشوف وتم تدعيم بعض الأسوار بالأبراج النصف دائرية، وزودت الأسوار والأبراج بالمزاغل.

كانت الرواشن والمزاغل من العناصر الدفاعية بحصون عسير كي يستطيع المدافع من خلالها استخدام وسائل الدفاع ضد العدو من الخارج، ولرمي السهام على القوات المهاجمة.

المراجع العربية

ال حامد، عبد الرحمن بن عبد الله بن عائض (د. ت). العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير: دراسة وثائقية موازنة.

إبراهيم، عبد الباقي (1982). تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، ص37.

أحمد، كامل عبد الناصر ومحمود عبد الهادي خليل (1986). دراسات معمارية وتخطيطية لتحسين البيئة السكنية القديمة في المدينة العربية، في بحوث النمو العمراني الحضري في المدينة العربية، المشاكل والحلول، ج1، المعهد العربي لإنماء المدن - الرياض، ص ص113-114.

آل زلفة، محمد. دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكمين التركي والمصري من عام 1811م-1840م، رسالة ماجستير. ص ص99-283-284.

القحطاني، محمد بن مفرح شبلي ومرعي القحطاني (2000). الوضع البيئي في منطقة عسير، دراسة استطلاعية للأوضاع الراهنة أبها. جريس، غثيان بن علي (2002). بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر، جدة.
بخاري، عبد الله يحيى (1981). عمارة جدة القديمة الخصائص والتطور، مجلة إقرأ، عدد خاص، جدة في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، 48.
البشري، إسماعيل (2000). إمارة أبو عريش (1235-1259هـ)، مجلة الدرعية، 11-12، ص311.
تاميزيه، موريس (1414هـ/1993م). رحلة في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير، ترجمة محمد آل زلفة، الرياض، ص329 وما بعدها.
تييه، جان (1990). هندسة البناء بالطين، مجلة العواصم والمدن الإسلامية،14، ص ص48-65.
جريس، غيثان علي (سبتمبر 1993). صفحات من تاريخ عسير, مجلد 1.
جريس، غيثان علي (1999). عسير في عصر الملك عبد العزيز: دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية.
الحارثي، ناصر بن علي (1419هـ/1999م). أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني، دراسة فنية حضارية، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة – الرياض، ص92.
الحربي، علي بن ابراهيم بن ناصر (1997). المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عسير، 1.
حريري، مجدي محمد عبد الرحمن (1991). تصميم الروشان وأهميته للسكن، مجلة جامعة أم القرى، السنة الثالثة، 5، ص184.
حسن، سليم (2000). مصر القديمة، 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ص ص416-417. ص ص416-417.
الحفظي، محمد بن إبراهيم (1393هـ/ 1974م). نفحات من عسير، مطابع عسير، أبها.
الخولي، محمد بدر الدين (1977). المؤثرات المناخية والعمارة العربية، دار المعارف - القاهرة، ص ص46-50.
خير الدين، عمرو (1997). المعالجات البيئية في تخطيط المدن الإسلامية وتصميم مبانيها، مؤتمر انتربيلد - القاهرة، ص ص855-877.
الرفاعي، خير الدين (1991). نحو عمارة أصيلة ومعاصرة تستمد معطياتها من القيم الإسلامية وتقنيات العصر، أبحاث منظمة العواصم والمدن الإسلامية، الحلقة الدراسية الرابعة، جدة. ص ص171-185.
الرفاعي، وهبي الحريري (1987). عسير تراث وحضارة، الرياض. سعود، نورة بنت محمد وأخريات (1989). أبها بلاد عسير، بريطانيا.
زكى، عبد الرحمن (1958). العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية، 7. ص123. ص109. ص123. ص ص130-132. ص123 شكل3-4. عبد الرحمن. العمارة العسكرية، ص123.
زكى، عبد الرحمن (1968). الجيش في مصر القديمة، 1، القاهرة. ص ص47-81. ص ص65-66-69-70-73-74 شكل3. ص74. ص ص65-69-74-77-81.
زكي، عبد الرحمن (1969). القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية، 15. ص ص57-58. ص69. ص72. ص89. ص74.
الزهراني، عبد الله بن عبد الرحمن وآخرون (2007). أنماط العمران القديم في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية، نشوءها وطرائق الحفاظ عليها، مجلة جامعة دمشق للعلوم العندسية، 1/23، ص ص188-194-196-197.
سلمان، عيسى (1982). تخطيط المدن، حضارة العراق، 9، بغداد، ص ص7-8.
شكري، محمد أنور (1986). العمارة في مصر القديمة، القاهرة. ص ص67-85-86.
شيحة، مصطفى (1987). رداع مدينة الآثار باليمن، المتحف العربي، 2/3. ص104.
شيحة، مصطفى (1988). دراسات في العمارة والفنون القبطية، هيئة الآثار المصرية، ص74 شكل 3-4. ص74.
صادق، محمد أحمد (1999). التشكيل الفراغي وتأثيره على علاقة المسجد بالبيئة العمرانية، ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك سعود - الرياض، ص ص37-56.
عثمان، محمد عبد الستار (1985). العمارة الحربية بين النظري والتطبيق، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، 7. ص169. ص ص13-138. ص138.
عثمان، محمد عبد الستار (1988). المدينة الإسلامية، عالم المعرفة 28، الكويت. ص12.ص138. ص235. ص263.
الفلكي، محمود باشا (1967). الإسكندرية القديمة، ترجمة محمود صالح الفلكي، الإسكندرية، ص63.
فولفغانغ مولر - فينر (1984). القلاع في الحروب الصليبية - ترجمة محمد وليد الجلاد، 2، دار الفكر – دمشق. ص31.
القحطاني، عبد الله بن سالم بن موسى (1992). موجز تاريخ وأحوال منطقة عسير.
قدرى، أحمد (1985). المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية (1570-1087ق م)، ترجمة مختار السويفي ومحمد العزب موسى، هيئة الآثار المصرية – القاهرة، ص ص285-286. ص ص285-286.
الكردي، حنان (1974). القلاع الأثرية في الأردن، الأردن. ص ص3-4، لوحة53:46.
لوبير، جراتيان (1978). دراسة عن مدينة الإسكندرية، وصف مصر، ترجمه زهير الشايب ، القاهرة، 2، ص40.
محمد بن عبد الله ال زلفه (1991). دراسات من تاريخ عسير الحديث.
مرابط، محمود فؤاد (1953). الفنون الجميلة عند القدماء، القاهرة، ص ص72-90-156-272.
مغربي، محمد علي (1405هـ/1985م). ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ط2، جدة، ص67.
النعمي، أحمد بن حسن (د. ت). عسير في مذكرات سليمان الكمالي، المطبعة الحديثة، القاهرة.
نعمي، هاشم بن سعيد (1999). تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الأمانة العامة للإحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة, المملكة العربية السعودية.
هاردنج، لانكستر (1971). آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، ط2، الأردن، ص ص190-191.
وزارة الشؤون البلدية والقروية (1404هـ/1984م). المسح الاقتصادي والاجتماعي الشامل لقرى وهجر المملكة، التقرير الثاني، منطقة عسير.
وهيبة، عبد الفتاح (1975). جغرافية العمران، الإسكندرية. شاكر، محمود (1981). شبه جزيرة العرب، 1، عسير، ط3، الرياض.
يونس، سيد أحمد (1402هـ/1982م). لمحات من تاريخ عسير القديم، ط1، منشورات نادي أبها.

REFERENCES

[1] The Encyclopædia Britannica (1911). Asir, 11th ed., p.1.
[2] Mackey, Sandra (2002). The Saudis: Inside the Desert Kingdom. Updated Edition. Norton Paperback. W.W. Norton and Company, New York, First edition: 1987, p.234.
[3] Headley, R.L. (2007). Asīr, Encyclopaedia of Islam. Edited by: P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel and W.P. Heinrichs. Brill.
[4] Windor, R. Bayly. Saudi Arabia in the Nineteenth Century, p.27.
[5] Cornwallis, Kinahan (1883-1959). Asir before World War I: a handbook, pp.12-15. Petrie, F. The Royal Tombs, II.
[6] Philby (1952). Arabian highlands, Cambridge University Press, for the Middle East Institute, Washington, D. C, p.160.
[7] Lewis M. (1953). The Naeural History of Urbanzation, Univ. of Chicago press, p.383.
[8] Mauger T. (1993). Undiscovered Asir, London.
[9] Nilsson, Sten (1989). Environment and Design Notes on the Vernacular Archeturcutre of Asir, p.100.
[10] Friedmann, A. (Septamber 1980). Development of Field of Man / Enveronment Relations, The International Federation of Interior Designers Forum, (IFI), Copenhagen, p.4.
[11] Envoldesn, C. (Septamber 1980). The form and the formulation of Theories, The International Federation of Interior Designers Forum, (IFI), Copenhagen.
[12] Quibell, J. E. Hierakonpolis, p.19.
[13] Petrie, F. The Royal Tombs, II, pl.V.
[14] Creswell (1952). Early Muslim Architecture, Oxford, I. pp.284-287.
[15] De Villard, U. Monneret (1928). Deyr el Muharraqh, Milan, pp.30-34.
[16] Darwish, M. (2013). Urban Planning of St. Paul Monastery, Minya University.
[17] Pittaway, A. R (1969). Arabian Forests, Saudi Aramco World Magazine.
[18] Al. Hussayen, M. (1995). Significant characteristics and design considerations of the planning research, Chicago, pp.13-91.
[19] El - Bakry, M. (1973). The Islamic houes, A study of environmental characterstics of Cairo's Islamic house, report for M. Sc. In Architecture School of Environmental studies, University college, London.
[20] Michell, G. (1978). Architecture of The Islamic World, William Marrow and company, New York, p.135.